دعوة الحق ١

فريضة الصوم

وأثرها فى تربية المسلم

تأليـــف
دكتور / جلال سعد البشار
أستاذ مساعد بكلية الدعوة الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون

صدق الله العظيم

(سورة البقرة ١٨٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد -ﷺ- صادق الوعد الأمين أخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمره ربه جل فى علاه بالعبادة والطاعة ، فقال مخاطباً إياه : ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾(١) . وقال سبحانه : ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾(٢) فعبد الله وجد فى عبادته واجتهد حتى تورمت قدماه وقيل له : يا رسول الله لم كل هذا النصب وقد غفر الله كل ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

وبعد . . فإن أعمال الإنسان تنقسم بعد إيمانه بالله إلى عبادات ومعاملات ، فالعبادات يتوجه بها العبد إلى ربه طالباً رضاه سبحانه مبتغياً منه الأجر ، والمعاملات الطيبة والأخلاق الحسنة مع سائر عباد الله تعالى ثمرة طيبة من ثمرات العقيدة الصادقة ، والعبادة الخالصة ولذلك قرن الله بين الإيمان الصادق والعمل الصالح فى العديد من آى القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾(٣) إيمان صادق وعمل صالح . والعبادة : هى الخضوع لله على وجه التعظيم ، وهى أيضاً الشعائر الدينية»(٤) ، وتعنى الاستقامة على أمر الله ، وإلتزام أوامره ، واجتناب نواهيه كما فى قوله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(٣) وكما وجه الرسول -ﷺ-

---

(١) سورة الحجر الآيتان ٩٨ ، ٩٩ .
(٢) سورة الزمر الآية ٦٦ .
(٣) سورة الكهف الآية ٣٠ .
(٤) انظر المعجم الوسيط جـ٢ .
(٥) سورة الأحقاف الآية ١٣ .

السائل : قل آمنت بالله ثم استقم أى اعتقد العقيدة الصحيحة ثم استقم على عبادة الله وطاعته ، فالعبادة بمعناها العام تعنى الالتزام والخضوع لله وإتباع كل ما أمر به واجتناب كل ما نهى عنه جملة وتفصيلاً شاملة كل مجالات الحياة مرتكزة على مراقبة الله عز وجل .

والشعائر الدينية هى الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وهى أسس وركائز لكل أنواع التعامل البشرى فى الحياة ، وبها ينصلح حال المسلم وتتهذب نفسه وتصفو روحه وتسمو فتثمر الأخلاق الكريمة والمعاملات الحسنة التى تقوم عليها المجتمعات القوية المتماسكة ، فعلى السبيل المثال لا الحصر واستشهاداً لما نقول :

١ - فإن الصلاة عبادة فرضها الله عز وجل ، وعلمها لنا جملة وتفصيلاً رسـول الله -ﷺ- ، عندما قال «صلوا كما رأيتمونى أصلى» وإن سلوك المسلم يستقيم بالصلاة كما فى قوله تعالى : ﴿**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر**﴾[1] فالصلاة تبعد الإنسان عن كل ما يغضب الله عز وجل ، وتذكره مغفرته وعذابه فينتهى عن كل ما ينزل عذابه ويلتزم كل ما يوجب رحمته وثوابه ، فهى تقويم للسلوك على طاعة الله وحسن معاملة خلقه .

٢ - والزكاة بمعانيها النمو والزيادة ، والطهارة والصلاح من أهم ركائز الصلاح الفردى والجماعى فهى بالنسبة للفرد طهارة لنفسه من أمراض البخل والشح وقد قال تعالى : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[2] فالإنفاق فى سبيل الله تدريب للنفس وتنقية لها من هذا الداء اللعين وتعويدها البذل والعطاء وقد قال تعالى : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾[3] فهى طهارة للمال من شوائب الحرام وطهارة للنفس من الشح والبخل، كما

(١) سورة العنكبوت من الآية ٤٥ .
(٢) سورة التغابن الآية ١٦ .
(٣) سورة التوبة من الآية ١٠٣ .

أنها تطهير للمجتمعات من الحقد والكراهية ، والصدقة المقبولة هى الخالية من المن والأذى للآخذ فقال تعالى : **﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم . يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . . .﴾**[1] وهذا تقويم لسلوك المعطى واعلاء للعلاقة بينه وبين الآخذ وعدم إظهار الفضل عليه .

٣ - والحج ركن فرضه الله على القادر المستطيع ، وهو قصد البيت الحرام للنسك فى أشهر معلومة ، وقد قال تعالى : **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾**[2] وهو مجمع للعبادات ففيه الذكر والصلاة ، كما أن فيه الإنفاق والعطاء ، انفاق للمال للسفر ، وبذل الجهد والطاقة لأداء المناسك التى تحتاج إلى الصبر على مشاق الأداء ، والتنقل بين المشاعر ، وقد تكون الصدقة جبرا لنقص وقع فى أداء المناسك كالإحصار **﴿فإن احصرتم مما استيسر من الهدى﴾** وفى حالة الحج متمتعاً : **﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى﴾** أو عند عدم المبيت بمنى . . إلى آخر المخالفات الموجبة للماء فى الحج .

كما دعانا الله عز وجل إلى التزام السلوك السوى وترك الأفعال والأقوال المشينة عندما قال تعالى : **﴿ . . .فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج . . .﴾**[3] واجتماع المسلمين فى مكان واحد وزمان واحد يوم الوقوف بعرفة فى التاسع من ذى الحجة فيه الفرصة بجانب العبادة والطاعة - ليشهدوا منافع لهم ويحلوا مشكلاتهم ومناقشة أسبابها ودعم أواصر المحبة وتأكيد أواصر التواد والتراحم والتعاطف لتتحقق الأمة الواحدة . فهو تقويم للسلوك العام والخاص تحقيقاً للقوة انطلاقاً من طاعة الله والإيمان به .

٤ - والصوم - عبادة تقوم على الترك ، فهو يعنى الإمساك عن سائر

(١) سورة البقرة الآيات من ٢٦٢ - ٢٤ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٩٧ .
(٣) سورة البقرة من الآية ١٩٧ .

المفطرات فى نهار رمضان بنية مخصوصة ، وقد بين الله لنا حكمة تشريعه عندما قال : ﴿**كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾[١] أى لتتقوا ويقول الرسول -ﷺ- : «الصوم جنة» فهو حفظ ووقاية للجسم والنفس ، وتقويم للسلوك على ما سيأتى تفصيله إن شاء الله فى هذه الدراسة التى نقدم لها فإن موضوعها إبراز لحكمة الله تعالى فى تشريع الصيام وأنه ليس تعذيباً للصائم ولا حرماناً له كما يدعى الشهوانيون الذين سيطرت عليهم شهواتهم ، وإنما تهذيب له وحفظ ووقاية من سائر الأمراض الجسدية والنفسية ، فهى تفصيل لأحكام الصيام ومدى ارتباطها بالسلوك والوجدان ، وعنوان هذه الدراسة : (فريضة الصوم وأثرها فى تربية المسلم) .

دراسة دعوية : وهذا البحث ليس بعيداً عن مجال الدعوة، بل إنه غاية لها وهدف، إذ أن للدعوة اطلاقين : أولهما الدعوة بمعنى التبليغ والنشر أى حمل الشرع وابلاغه للمدعوين ، ثانيهما : الدعوة بمعنى «الدين» نفسه وهى بهذا المعنى تعنى كل الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق المبلغ عن الله عز وجل ، ودراستنا لفريضة الصيام وايجاز أحكامها، وتفصيل أهدافها والغاية من تشريعها دعوة لكل مسلم إلى التزام أدائها والتحلى بآدابها والاستفادة بذلك ليس فى وقت الصوم فقط وانما طوال العام بحيث يصير ذلك سلوكاً عاماً له فى مجالات حياته وسائر معاملاته فيكون قد تأدب بالعقيدة والعبادة وذلك من أهم ركائز تربية المسلم باطناً وظاهراً. إذ أن موضوع الدعوة هو الإسلام بكل جزئياته وكلياته من حيث تبليغه للناس وحثهم على اتباعه والعمل على تطبيقه والتزامه - وحديثنا عن الصوم من هذا القبيل فهو دعوة إلى المحافظة عليه والبعد عما يغضب الله تعالى فى أدائه وبعد أدائه .

فهو دعوة ضمنية إلى التزام العبادة فى الإسلام والتخلق بأخلاقها .

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

والله العلى القدير أسأل أن يهدى بهذه الدراسة كل من يقرؤها ويعيها ويعمل بها، كما أسأله سبحانه أن يتقبل هذا العمل منى - وهو جهد المقل - وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم القيامة ، وأن يغفر لى زلاتى ويعفو عن سيئاتى .

إنه نعم المولى ونعم النصير ، ونعم المعين القدير .

المؤلـف

د. جلال سعد البشار

قليوب البلد فى ١٠ رجب ١٤٢١ هـ

٨ من أكتوبر عام ٢٠٠٠ م

تمهيـــــد

واقعية التشريعات
وملاءمتها الفطرة الإنسانية

* معنى الشهوة
* معنى الغريزة
* معنى الدافع
* الحاجات النفسية
* واقعية الإسلام فى التعامل الإنسانى

تمهيـــــــد
واقعية التشريعات وملاءمتها الفطرة الإنسانية

من المسلمات تكوين الإنسان من مادة وروح ، والمادة أسبق وجوداً من الروح كما فى القرآن الكريم : ﴿إنى خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾(١) وقوله : ﴿إنى خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾(٢) فالتسوية من الطين أو الحمإ أولاً ، ثم نفخ الروح فيه ثانياً، والجانب الطينى هو المادة ، ونفخ الروح هو الجانب الروحى، ولكل منهما حياة فحياة الأرواح فى الطاعة والإيمان والذكر حيث الصفاء والسكينة والرضا، أما حياة الأجساد وهى الجانب المادى فتقوم على الغذاء والتناسل وسائر ما يحفظ ذات الإنسان من الهلاك ونسله من الانقراض، فزود الله الجسم بوسائل تشعر الإنسان بحاجته إلى أسباب بقائه من الطاقة والطعام والشراب ، وهذه المطلوبات جعلها الله رغبات للإنسان يسعى إلى تحقيقها والحصول عليها لسد حاجته ، وعن ذلك عبر القرآن بلفظ الشهوات كما عبر بنفس اللفظ كثير من نصوص السنة ، وعلوم التصوف والأخلاق، إلا أن هذا اللفظ «شهوة» يكاد ينعدم فى كتب علم النفس الحديثة ويستخدمون تعبيرات أخرى مثل الدوافع ، والحاجات ، والغرائز . . إلخ فيا ترى أى هذه الألفاظ ينطبق عليه معنى الشهوة ؟ وللإجابة عن ذلك يجب تحديد مفهوم كل تعبير على حدة :

١ - معنى «الشهوة»:

أ - عرفت الشهوة فى اللغة : بأنها الرغبة فى الشئ المشتهى (بفتح الهاء) ويقال : اشتهى الشئ أى اشتدت رغبته فيه ، فهى الرغبة الشديدة والقوة

(١) سورة ص الآيتان ٧١ ، ٧٢ .
(٢)

النفسانية الراغبة فيما يشتهى ، كما يراد بها ما يشتهى من الملذات المادية – أى الأشياء التى تشتهيها النفس[١] .

«وهى قسمان : شهوة يختل بدونها البدن ، وشهوة لا يختل البدن بدونها (ومثال القسم الأول : شهوة البطن والجنس والأمومة والأبوة فهذه لحفظ الذات والنوع ، ومثال الثانى : حب المال ، والتملك . . إلخ) . . ويستعمل القرآن لفظ (شهوات) فى المواطن غير الممدوحة»[٢] فتطلق ويراد بها معنيان : الرغبة الشديدة فى شئ معين من الملذات ، والشئ المرغوب نفسه .

ب – وقد استعمل القرآن لفظ «الشهوات» بمعنى المرغوبات فقال : ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[٣] فقد جعل الله الأعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع بها ، ومعنى تزيين الشهوات خلق حبها فى القلوب، فالمراد بالشهوات الملذات من النساء . . إلى آخره – وهى المشتهيات وسميت شهوات مبالغة وإيماء إلى أنهم انهمكوا فى محبتها . . ويكون ذلك وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا كان على وجه يرتضيه الله . . ويعرف النسفى الشهوة بأنها توقان النفس إلى الشئ[٤] ، وهذا تعريف لها بالرغبة والحالة النفسية ، بخلاف من عرفها بأنها الأمور المشتهاة المرغوبة .

وفى السنة نجد قول رسول الله عن رب العزة واستخدم فيه لفظ «الشهوة» فيقول : « . . يترك طعامه وشرابه من أجلى . . » ويعلق ابن حجر بقوله : المراد بالشهوة فى الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب

---

(١) المعجم الوسيط ج١ ص٤٩٨ .

(٢) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ص٣٤٠ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٤ .

(٤) انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص٤٤ ، تفسير البيضاوى ج١ ص١٥١ ، تفسير النسفى ج١ ص١٤٨ .

ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص ، وفى رواية الموطأ قدمت الشهوة عليهما فيكون من الخاص بعد العام»[١] ولفظ «شهوته» هنا يراد به الأمر المشتهى المرغوب، لأن الشهوة كرغبة شديدة لا تترك وإنما يصبر عليها حتى تباح له، أما الترك بمعنى اجتناب الزوجة وعدم جماعها ، أو ترك الطعام والشراب حتى يحل له ، وفى الحديث : «يترك» أى لا يفعل مع شدة رغبته امتثالاً لأمر الله .

٢- معنى الغريزة:

يستعمل لفظ الغريزة فى اللغة ويراد به : الطبيعة والقريحة والسجية – فيقال فلان يتصرف على طبيعته أى بلا تكلف ؛ وهذا من نتاج القريحة أى ليس نقلاً عن أحد وكذا أو قريب منه استعمال السجية – وعرفت أيضاً : بأنها صورة من صور النشاط النفسى وطراز من السلوك يعتمد على الفطرة والوراثة البيولوجية[٢] .

وقد عرفت أيضاً بأنها : «حالة فطرية نفسية جسمية تحمل صاحبها على ادراك شئ أو أشياء من نوع خاص والالتفات إليها ، انفعال وجدانى معين ينشأ عن ذلك الإدراك ، القيام بعمل خاص نحو الشئ المدرك أو على الأقل الشعور بميل نحو هذا العمل»[٣] فمثلاً غريزة الأبوة فى الإنسان هى التى تحمله على أن يفكر فى صالح ولده ويسر لرؤيته ويسعى فى تربيته ، ومن الأعمال الغرزية أيضاً : من يراقب عدوه فيراه ، فيشعر بالخوف، ثم يجرى لينجو من هذا العدو ، فشملت الغريزة مظاهر الشعور الثلاثة : ادراك ، وجدان ، نزوع وهو الفرار[٤] .

وغريزة الأبوة ، والأمومة من الأمور التى تحفظ النوع من الفناء وقد عبر عنها بالشهوات فى الشرع ، وبالغريزة فى علم النفس – ويؤكد هذا المعنى

(١) انظر فتح البارى – ابن جر – ج٨ ص٢٤٠ . (٢) انظر : المعجم الوسيط ج٢ ص٦٤٩ .
(٣) نقل الأستاذ الإبراشى التعريف عن «مكدوجل» واصفاً إياه : الذى يعد أكبر حجة فى الغرائز .
(٤) انظر : علم النفس التربوى – الإبراشى وآخرون – ج١ ص٨٨ .

الإبراشى قائلاً : «إن الغرض من العمل الغرزى على العموم هو حفظ الكائن الحى وبقاء النسل وذلك لأن الحيوان الذى لا يسعى لبقائه ومصلحته هالك لا محالة فى سبيل تنازع البقاء بشرط أن يكون العمل الغرزى ملائماً لتكوينه الجسمانى وإلا كان سبباً فى هلاكه . . »[١] وهذا المعنى فى حكمة خلق الشهوات فى الجسم الإنسانى وجعلها أساساً فى كيانه يتفق مع ما فى الشرع ويتضح ذلك فى قول ابن قدامة : «شهوات النفوس لم توضع إلا لفائدة إذ لولا شهوة المطعم ما حصل تناول الغذاء، ولولا شهوة الجماع لانقطع النسل، وانما المذموم فضول الشهوات وطغيانها ، وثمة قوم لم يفهموا هذا القدر فأخذوا يتركون كل ما تشتيه النفس وهذا ظلم لها بإسقاط حقها فإن لهما حقاً بدليل قوله -ﷺ- : «إن لنفسك عليك حقاً . . »[٢] فالشهوات من الناحية الشرعية ليس مجرد وجودها حراماً فالله يقول : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . . » عن شهوة الجنس، ويقول : «يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» عن شهوة البطن ورغباتها وأباح ذلك أما المحظور فهو الغلو والإسراف والانغماس فيها إلى درجة الضرر، فنجد هنا أن معنى الغريزة أقرب إلى معنى الشهوة ، لكن المفهومين ليسا متطابقين، وإن توافقا فى المعنى إلى حد كبير .

٣ - معنى « الدافع »:

الدافع من الناحية النفسية هو الباعث الداخلى الذاتى الذى يحرك سلوكنا الخارجى، ويوجهه وجهة معينة . والدوافع هى الطاقة الكامنة فى الكائن والتى تحدد له أهداف سلوكه وتمهد له طريق إشباع حاجاته . والصلة بين الدوافع والحاجات صلة تطابق لأن بكل كائن حى عدداً كبيراً من الحاجات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية التى يعمل على اشباعها دائماً من

---

(١) المرجع السابق ص٩٢ .

(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين - المقدسى ص١٤٠ .

أهمها : الحاجة إلى الطعام أو الحاجة إلى الجنس أو الحاجة إلى الانتماء للجماعة[(١)] . . وهذه حاجات ملحة على الإنسان ، يظل سلوكه متوتراً نشيطاً إلى أن يتم هذا الإشباع .

والحاجات هنا يراد بها : الشهوات أو الغرائز ، وهذه الحاجات الفسيولوجية تعمل للمحافظة على وجود الإنسان الفردى العضوى ، ومنها ما يعمل على بقاء النوع ككل متصل كالجنى .

فالحاجة تلح والدافع يحفز ويدفع ليتم الإشباع ، فغاية الدافع هى الإشباع وسد الحاجة وتلبية ندائها .

٤ - الحاجات النفسية :

وبها فسر بعض علماء النفس دوافع السلوك - يقصدون بذلك إشباع الحاجات النفسية ، وتعرف بأنها : «رغبة طبيعية يهدف الكائن الحى إلى تحقيقها بما يؤدى إلى التوازن النفسى والانتظام فى الحياة» .

والواقع أن الحاجات النفسية لا تخرج فى معناها وطبيعتها عن مضمون الغرائز من حيث كونها محركات للسلوك غير أن عددها أقل من الغرائز»[(٢)] .

وبما أن الحاجة هى الافتقار إلى الشئ فهى مركوزة فى النفس تطلب ما يلائمها ويلبى نداءها ويجبر نقصها ويحفظ كيانها من الزوال ، وهذا المعنى بعينه يراد به الشهوة ، فقد عرفها الجرجانى بقوله : «حركة النفس طلباً للملائم» فالنفس تتحرك حتى تحصل على ما يلائمها وما تحتاج إليه .

وقد عرفت الحاجات النفسية بأنها «رغبة طبيعية . . » كما عرفت الشهوة بأنها «الرغبة فى الشئ . . » ولذلك فإننا يمكننا القول بأن الشهوة بمعنى الحاجة

---

(١) انظر علم النفس العام - سماح رافع ص١٦ ، وعلم النفس العام ، د/ محمد أبو العلا أحمد ص١٢٥ مكتبة عين شمس .

(٢) انظر علم النفس العام - د/ محمد أبو العلا أحمد ص١٢٦ مكتبة عين شمس .

وهى ما تشتد إليه حاجة الإنسان لبقاء كيانه وذاته ، وبقاء نوعه كالطعام والجنس والأبوة والأمومة . . . مثلاً .

فالدافع هو الحافز الذى يحرك الإنسان وينشطه لسد حاجته كما رأينا وقد اتضح أيضاً أن معنى «الغريزة» يتوافق إلى حد كبير مع معنى «الشهوة» بينما يتطابق مفهوم «الحاجات النفسية» مع معنى «الشهوات» كذلك .

فالحاجات أو الشهوات ركبت فى جسم الإنسان لتتحقق حياته وتبقى ذاته وتزوده بالطاقة والنشاط ، إذ أن الجسم يحتاج لبقائه إلى طاقة منشطة له ومحركة إياه ومصدر الطاقة هو الغذاء - ولو فرضنا جدلاً - نفاد ما فى الجسم من الطاقة دون أن يشعر الإنسان به فإنه يسقط جثة هامدة ، ولكن اقتضت حكمة الخالق جل وعلا أن الإنسان متى فقد الطاقة بسبب خلو المعدة فإنه يحس بآلام الجوع أو العطش ومعنى هذا الإحساس أن الماء أو الطعام قد نفد فتزود بغيره - فيشعر بالتوقان إلى الحصول على الطعام والشراب وبالرغبة فيهما - وهذا الشعور هو الدافع أو الحافز - الذى يتحرك الإنسان على أثره باحثاً عن الطعام والشراب وكلما طال الوقت قبل أن يشبع حاجته زاد توتره إلى أن يصل إلى ما يريد فيأكل ويشرب ويسد حاجته ، ويشبع شهوته ويهدأ توتره ويستقيم سلوكه ويمكن تطبيق المثال السابق على كل الحاجات الفسيولوجية .

وكل البشر يتساوون فى كل هذه الأمور لكن الاختلاف فى طريقة الإشباع فهناك من ينغمس فى إشباع شهواته ، وينهمك فى ذلك غير مبال أمن حلال ذلك أم من حرام ، ومنهم من يشبع حاجاته من الحلال وبلا إسراف ويصبر على ذلك بقدر الاستطاعة حتى يتيسر له تحقيق ما يريد من الإشباع ، وإعلاء الغرائز لا يعنى إلغاءها أو كبتها بل يهذب طريقة الإشباع وتخليصها من الأسلوب الحيوانى والارتقاء بها إلى الأسلوب الإنسانى الراقى ، فالجنس حاجة موجودة فى كل من الإنسان والحيوان على حد سواء والرغبة عند كل من أفرادهما شديدة فى الاتصال بالأنثى فالدافع موجود إلا

أن الحيوان يندفع إلى الأنثى بمجرد رؤيتها، بينما يسلك الإنسان فى ذلك الطريق المشروع الحلال حسب ما رسمت الشريعة الغراء .

علاقة الصوم بالشهوات :

إن الحاجة النفسية موجودة مغروسة ضمن تركيب الإنسان، والدافع إليها ملح يلهب نفس الإنسان يثير شهواته ويوتر جسمه ، وتلك المرغوبات من مشتهيات النفس من الجماع والطعام أمامه ومهيأة له وجميع الظروف مواتية : توقان نفس ، دافع يحفره ويلهبه بسوطه ، وخلوة إلى المرغوب من الزوجة، أو الطعام إلا أن الصائم يصبر على ألم التوقان والرغبة الشديدة وإلحاح الدافع وينأى بنفسه عن مشتهياتها المحرمة عليه نهاراً بسبب الصوم، حتى يباح له فى الليل بعد إتمام الصيام وإباحة ما كان محرماً عليه .

فالصوم يعلم الإنسان التحكم فى غرائزه وشهواته والتحرر من قيود الحيوانية والمادية ، والرقى إلى مراتب الملائكية النورانية الروحية .

واقعية الإسلام فى التعامل الإنسانى :

عالج الإسلام أحوال الإنسان النفسية والعضوية معالجة تتوافق مع تكوينه، وفطرته : فقد راعى أن البدن له حاجاته العضوية كالغذاء والنوم والراحة، كما أن للنفس غرائزها التى تحتاج فيها إلى الأجواء والمناخات الإيمانية، فهى تتشوق إلى معرفة حقيقة وجود الله، والقيام بعبادته وطاعته بالطريقة الصحيحة والإقدام على الأعمال الصالحة. . وقد تنحرف عن الطريق السوى، طريق الإيمان بالله وما يترتب عليه من صالح الأعمال، وتهوى فى مستنقع الكفروالرذيلة وسيئ الأعمال .

وهذا أمر طبيعى فإن ذلك من الغرائز الملحة التى تتطلب الإشباع دائماً وماحاجات البدن إلا إلحاحات الغريزة ونداء الشهوة لحفظ ذات الإنسان ونوعه كالطعام والشراب والجنس وما يتبع غريزة الجنس أو شهوة الفرج من غرائز لحفظ النوع كالأمومة والأبوة. . وطلب الراحة وحب البقاء وما يتبعه من الخوف والمقاتلة .

ومن الغرائز الحاجة إلى التدين ومعرفة وجود الله تعالى وكيفية عبادته بالطريقة التى ترضيه والبعد عما يسخطه من الأعمال وذلك من الأمور المقررة الثابتة المعروفة فى تركيب الإنسان ، إذ يقول تعالى : **﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ذلك ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[١] وقال -ﷺ- : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . . »[٢] فالتنصير والتهويد والتمجيس أمور عارضة مكتسبة يتعلمها النشء من الأسرة ، بينما الأصل الذى يولد الإنسان مفطوراً عليه هو الإسلام والتوحيد ، فتتشوق النفس إلى عبادة معبود ودعاء الخالق ، وحتى لا تجتالهم الشياطين عن هذه الفطرة فإن الله أرسل رسله لتعريف الخلق بالخالق وما يرضيه ، فيلبى بذلك إلحاح النفس وتطلعها من مصدر صحيح وهو الوحى حتى لا تنحرف عن الحق والصواب باجتيال الشياطين لها وتقع فى الإلحاد والكفر والرذيلة .

ولذا فإن الإسلام يتعامل مع الكيان الإنسانى على أسس سليمة مراعياً واقعه عن طريق الأحكام الشرعية المترتبة على العقيدة ويقوم هذا التعامل على تنظيم إشباع الغرائز والحاجات العضوية تنظيماً بديعاً ودقيقاً سمته الاعتدال فى كل شئ . . فلا يطلق الإنسان لغرائزه العنان ، ولا يكبتها ولا يتتبع متطلبات الجسم ويهمل متطلبات النفس أو العكس فيقول تعالى حاكياً قول قوم قارون ناصحين إياه لانغماسه فى حب الدنيا والمال وترك كل ما سواه : **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾**[٣] أى استخدم مما أعطاك الله فيما يرضى الله لتفوز فى الآخرة عند لقائه سبحانه ، ولا تحرم نفسك من متع الدنيا الحلال بلا إسراف أو انشغال عن الطاعة وليصل فضل الله عليك إلى عباده عن طريقك بالإحسان إليهم شكراً على ما

(١) سورة الروم الآية ٣٠ .
(٢) متفق عليه .
(٣) سورة القصص الآية ٧٧ .

منحك من نعمه ، ولا تستخدمه فى نشر الفساد والظلم فى الأرض بين عباد الله – فأساس نفسية الإنسان العقيدة الصحيحة فبها تتكون عقليته ونفسيته ويتضح ذلك فى عمله[١] .

ولو تأملنا بعض التشريعات الإسلامية لوجدنا فيها جانب مراعاة الواقع الإنسانى واضحاً جلياً – تتجلى فيه رحمة الله بعباده فى تشريعه لهم .

فمن ذلك تشريع الرخص المخففة عن الإنسان الميسرة عليه :

أ – فقد أباح الفطر فى رمضان لذوى الأعذار من المرضى ومن فى حكمهم من ذوى الأحوال التى يتضرر أصحابها بالصوم ، وقد قال الله تعالى بعد أمره بالصيام كل من شهد الشهر : ﴿ . .فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ وبين العلة فى ذلك عندما قال بعد هذه الرخصة ﴿ . . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ والمسافر قد يتضرر بالصيام مع السفر – حتى فى وسائل المواصلات السريعة– والمريض قد يزيد مرضه أو يتأخر شفاؤه لعدم انتظامه فى أخذ جرعات الدواء فى المواعيد المقررة بسبب الصيام خاصة فى النهار الطويل فأبيح لكل منهما الإفطار دفعاً لما قد يلحقهما من الضرر .

ب – ومنها إباحة أكل الميتة للمضطر الذى عدم الطعام الحلال ويخشى على نفسه من الهلاك بسبب الجوع ، فإن رأى طعاماً محرماً كالميتة ومالت نفسه إليه لينقذ نفسه من الموت المحقق فإن الشرع لا يشكل حجر عثرة له فأباح له التناول منها ما يسد به رمقه ويقيم أوده فقط ، ويقول تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية ، والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق . .﴾[٢] وما قيل عن الميتة يقال عن غيرها من محرمات الأطعمة وقد ختم الله آية المحرمات بقوله : ﴿ . .فمن اضطر فى

---

(١) انظر : علم النفس – معرفة النفس الإنسانية ص٤٩٩ ج١ بتصرف خفيف .
(٢) سورة المائدة الآية ٣ .

مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ ، بل إن الشخص إذا غص وأشرف على الهلاك ولم يجد ماء لإذهاب تلك الغصة وإنقاذ نفسه ووجد خمراً فقد أباح له الشرع أن يأخذ جرعة منها لتذهب غصته لأن المقصد إنقاذ النفس من الهلاك وليس السكر .

جـ - ومن ذلك جواز قصر الصلاة وجمعها[١] تيسيراً على المسافرين لما يعانونه من مشقة السفر ، بشرط أن تكون المسافة مبيحة للقصر على ما فصلته كتب الفقه وهم بين مكثر ومقل فهناك من اشترط أن تكون ستة عشر فرسخاً أي ما يساوى ثمانين كيلو متراً ، أو تسعة وثمانين كيلو متر كالشافعية ، وهناك من لم يعتبر المسافة وإنما أعتبر الزمن كالحنفية واشترطوا أن يكون ثلاثة أيام يسير فيها من الصبح إلى الزوال بسير الإبل أو مشى القدم[٢] وذهب البعض أخذاً من بعض روايات السنة إلى أنها ثلاثة أميال وهى ما يساوى خمسة كيلو مترات ونصف تقريباً «ويبدو واضحاً مراعاة واقع الإنسان ودفع المشقة اللاحقة له بسبب السفر .

د - ومن ذلك : رفع القلم عن المجنون حتى يفيق وعن الصغير حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ لعدم ادراكهم وتمييزهم بين الحسن والسيء من الأمور ، وقد روى ابن ماجه عن رسول الله -ﷺ- : «رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق»[٣] كما أن القلم مرفوع كذلك عن المخطئ والناسى والمكره فقد قال -ﷺ- : «إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٤] فواقع الإنسان أنه يرد عليه النسيان والخطأ ويقع عليه الإكراه ومن رحمة الله بالإنسان عدم مؤاخذته فى هذه الحالات ، ويلحق بهؤلاء المكره الذى أرغم

---

(١) يكون القصر فى الظهر والعصر والعشاء ، بينما يكون الجمع والقصر فى الظهر والعصر ويجمع المغرب بلا قصر مع العشاء وتقصر العشاء فقط .

(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ص٤٢٧ ط الأوقاف .

(٣) رواه ابن ماجه - الطلاق - باب طلاق المعتوه والصغير والنائم ج١ ص٦٥٨ .

(٤)

بالتهديد والإيلام على فعل حرام أو غير لائق فما فعله أو قاله مكرهاً لا يعتد به لأنه فقد الإختيار ولا يترتب عليه أية أحكام ، ومثل ذلك السكران وقد اشترط البعض لعدم مؤاخذته بتصرفاته ألا يكون متعدياً بسكره وكذا الغضبان الذى استغضب حتى بلغ به الغضب حالة عدم التمييز والإدراك لما يصدر عنه وأغلق عليه ، ومما هو معلوم لاطلاق فى اغلاق .

هـ - ومن مراعاة واقع الإنسان أن الإسلام لم يغفل أن جميع البشر ليسوا على درجة واحدة فى القدرة على التحمل والطاقة على المواصلة فى الطاعات ، ولذا جعل حداً أدنى وحداً أعلى لمستوى الكمال فمثلاً : الصلاة منها ما هو فرض ، ومنها ما هو مندوب ، فالأول يدخل فى المستوى الأدنى - الذى يطيقه أغلب المكلفين - ويدخل الثانى فى المستوى الأعلى ، وكذا الصوم منه ما هو فرض ومنه ما هو نقل يدخل الأول فى المستوى الأدنى والثانى فى المستوى الأعلى ، وفى حالة الاعتداء تجوز المعاقبة بالمثل ، ولكن العفو والصبر أفضل والمعاقبة تدخل المستوى الأدنى ، والعفو يدخل فى المستوى الأعلى . . وهكذا والإنسان يأتى من المستوى الأعلى بما يستطيعه والضابط فى ذلك : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ولا تقف واقعية الإسلام عند هذا الحد وهو وضعه بين مستويين أعلى وأدنى وإنما أوجد المخارج المشروعة وعلى هذا الأساس جاءت الرخص وجاءت القاعدة الفقهية «الضرورات تبيح المحظورات»[١] ، وتشريع الرخص عند وجود المشقات فى تطبيق الأحكام إذا كانت فوق مستوى طاقة البشر من مطالب الفطرة وموافقه لواقع الإنسان وتلبية كل حاجاته ، وإن دفع المشقة ضرب من ضروب رعاية المصلحة ودرء المفسدة عن الناس .

وعلى هذا يمكننا القول إن الاسلام راعى تكوين الإنسان من مادة وروح لكل منهما مطالبة التى تساعد فى بقائه واستمراره بينما نجد نظماً وتشريعات فصلت بين القيم الروحية والقيم المادية ، فأهملت الجسد واحتقرته ونبذته

(١) انظر كتاب : أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان ص٥٧ .

كالهندوكية والبوذية وما نحا نحوهما من الفلسفات ، وهناك نظماً كبتت الروح لتعلى من الإنتاج المادى والمتاع الجسدى، والنتيجة التى أسفر عنها كل من الإتجاهين ممن أهمل الجسد وأعلى شأن الروح تحول الجسد إلى المرض والهزال ، ومن أهل الروح وأشبع الجسد حول الإنسان العاقل إلى الحيوانية والبهيمية فى العلاقات بالناس . . وكلا الاتجاهين مغال .

والاعتدال المنصف فى الموازنة بين مطالب الجسم والروح وعدم ظلم جانب لحساب آخر هو تشريع الإسلام ولا عجب فإن الله هو المشرع العليم بحاجات خلقه وما يصلح أمرهم .

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

الصوم في القرآن والسنة

* فريضة الصوم
* معنى الصوم
* مراحل تشريعه
* فضائله

المبحث الأول
فريضة الصوم

عندما تحدث القرآن الكريم عن فريضة الصيام تناولها بشئ من الوضوح وتحديد المعالم ، لما مر به هذا التشريع من مراحل تشريعية وما حدث فيها من نسخ وتغيير ، إلى أن استقر التشريع فى صورته الكاملة التامة الثابتة إلى يوم القيامة ، بينما ذكر القرآن بقية الفرائض على سبيل الإجمال ثم تكفلت السنة بذكر تفصيلاتها ودقائق أحكامها ، ومع أن السنة بينت الكثير من أحكام الصيام إلا أن القرآن وضع الأسس العامة والقواعد الكلية حتى لا يقع الخلاف فيها بين المسلمين فتفترق الأمة .

ويقول الله تعالى متحدثاً عن فرض الصيام :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ

الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١) .

فقد تحدثت تلك الآيات الكريمة عن فرض الصوم وإن الله تعالى كتبه على المؤمنين كما كتبه على الأمم السابقة فهو عبادة قديمة فرضت على معظم الرسل وأبلغوها إلى أقوامهم وكلفوهم بها لما فيها من تربية للصائم ظاهراً وباطناً .

وقد تضمنت آيات الصيام النقاط الآتية :

أ – خطاب الله للمؤمنين بفريضة الصيام إشارة إلى أن الصوم عبادة لا يطيقها ولا يحفظ آدابها إلا المؤمن الصادق فى توجهه إلى الله الحريص على ارضاء ربه بامتثال أمره .

ب – كما بينت مراحل تشريع الصوم ، ثلاثة أيام من كل شهر ، ثم فرض **﴿كتب عليكم الصيام﴾** وجعله للقادر عليه اختياراً بين الصوم أو إطعام مسكين ، وأخيراً نسخ الإطعام للقادر المطيق وجعله فرضاً على كل قادر . لقوله تعالى : **﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** .

جـ – بين فضل شهر رمضان بانزال الله القرآن فيه فى ليلة القدر منه إشارة إلى ضرورة التقرب إلى الله بالذكر وتلاوة القرآن والحرص على تحرى ليلة القدر وقيامها .

د – الإشارة إلى مكانة الدعاء للصائم وذلك لذكره آيات الدعاء والحرص عليه فى سياق آيات الصيام حيث إن للصائم دعوة مستجابة . والله تعالى قريب من السائلين الداعين فى كل وقت وحين .

هـ – تحديد وقت الصوم على وجه الدقة ، وأنه من الفجر إلى الليل ، ولايحل فى ذلك الأكل والشرب وجماع النساء .

(١) سورة البقرة الآيات ١٨٣ – ١٨٧ .

و- حرمة مباشرة النساء فى أثناء الاعتكاف فى المساجد وفى آخر المقام يؤكد أن تلك الأمور هى حدود الله فلا يصح تعديها ولا تعبيرها فقد وضح الله فيها كل شئ وبينه ، وكما بين سبحانه وتعالى ذلك ووضحه فهو عز وجل يبين الآيات للناس ﴿لعلهم يتقون﴾ لتكون سبباً لوصفهم بالتقوى والخوف من الله والإيمان به سبحانه - وكما أن الصوم كتب على الذين آمنوا لعلهم يتقون ، فكذلك كل ما بينه الله من أحكام للناس أيضاً ﴿لعلهم يتقون﴾ فالغاية تحقق التقوى والاستقامة على الحق قولاً وفعلاً، عقيدة وعملاً، وهذا الوضوح وتلك الاستقامة من أهم ما يميز شخصية المسلم عن غيرها من الشخصيات التى يتسم أصحابها بالغموض والتلون وعدم الثبات على المبدأ لعدم وجود الركيزة الإيمانية التى تقوى بممارسة العبادات والتزام الطاعات حتى تنعكس آثار الإيمان وثمار العقيدة والأخلاق على كل مواقف الحياة المختلفة . .

وفيما يلى دراسة عن فريضة الصيام فى ضوء القرآن والسنة استنبطت رءوس موضوعاتها مما ذكرنا من النقاط التى اشتملت عليها آيات الصيام من سورة البقرة، مبينين آثار تلك الفريضة فى تكوين الشخصية وتقويم السلوك وتربية المؤمن القوى ، المواطن الصالح لدينه الغيور على وطنه المتفانى فى الذود عنه ، المؤمن القوى الذى هو أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، لما لشخصيته من تأثير إيجابى وفعال فى مجتمعه ، وعلى إخوانه، مستنيرين فى ذلك بهدى النبى -ﷺ- فى توجيه المسلم إلى الأخلاق الفاضلة ، من الصبر لكل أنواعه والتسامح والرحمة ، وعدم التشدد والغلو ، وإلى التأدب بآداب الصيام - وهذه الأمور كلها تعتبر أطرافاً من التربية النفسية وقوة التوجه إلى الله تعالى من العبادة والدعاء والرجاء وكذلك هدية -ﷺ- فى شرح أحكام الصيام وبيان ما فيها من دلالات تشريعية ، وإشراقات نورانية هادية يهتدى بها كل مسلم فى حياته ، وهذا ما سيأتى بيانه ويتضح تفصيله فى المباحث التالية . . إن شاء الله .

المبحث الثاني
معنى الصوم

يخاطب الله الذين آمنوا وصدقوا واطمأنت قلوبهم بالإيمان به سبحانه، فاستقام سلوكهم على طاعته، والحرص على رضاه بهذا التكليف الشرعى بالصيام مبيناً لهم أنه فرض عليهم كما كان مفروضاً على من سبقهم من الأمم، فقوله تعالى: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ يعنى الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام، وفيه توكيد للحكم وترغيب فى الفعل وتطييب على النفس»[٢] وقد روى أن الصيام كان أولاً كما كان عليه الأمم قبلنا: ثلاثة أيام من كل شهر، وقد روى عن معاذ وابن مسعود وغيرهم أن الصوم لم يزل مشروعاً من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان، وقيل ويعنى بالذين من قبلكم: أهل الكتاب[٣].

كما أن فيه دلالة على أن الصوم عبادة قديمة شرعها وأمر بها من بدء الرسالات، وقد تكون الكيفية مختلفة إلا أن أصل التشريع ثابت ومتشابه مع التشريع لنا، وتصدير آيات الصوم بنداء الإيمان ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فيه دلالة على ارتباط تلك الفريضة بالإيمان بالله والإخلاص له سبحانه، لأنها عبادة ترك فهى سر لا يطلع عليه إلا الله فهى بين العبد وربه، فلا يؤديها كاملة ولا يتحلى بآدابها إلا كل مؤمن تقى يقظ الضمير يراقب ربه فى كل شئ، ولذا فإن الله سبحانه يجعل نتيجة الصيام ﴿لعلكم تتقون﴾ أى المعاصى بالصيام، لأنه أى الصيام أظلف لنفسه واردع لها من مواقع السوء، أو ﴿لعلكم تتقون﴾ أى تنتظمون فى زمرة المتقين لأن التقوى شعارهم ومعنى التقوى الحفظ والستر من وقى الشئ إذا حفظه، فالصوم الذى تراعى فيه

(٢) انظر تفسير البيضاوى ج١.
(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص٢١٣.

آدابه يكون احفظ للنفس ووقاية لها من المعاصى والسيئات، وبالتالى من غضب الله وعذابه .

تعريف الصيام شرعاً :

وهنا نتسال : إن الله كتب علينا الصيام وفرضه ، فما مفهومه وما المراد به؟ ولبيان ذلك :

أ - نقول يوضح المفسرون معنى «الصيام» ليحددوا المراد منه وكلها تدور فى فلك واحد تقريباً ، فمن ذلك تعريف القرطبى للصيام حيث يقول : الصوم فى الشرع الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع فى المحرمات، لقوله ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»[٤] فعلى ذلك فإن الصوم امساك عن المفطرات بنية مع التحلى بالطاعات والتخلى عن المعاصى والسيئات وهذا هو الصوم الكامل ثوابه ، الثابت أجره .

ب - ويعرفه الفقهاء : بأنه هو الإمساك عن المفطرات يوماً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس»[٥] .

وقيل فى تعريفه : الصوم شرعاً : هو الإمساك عن المفطرات بنية من أهله من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، أى أن الصوم امتناع فعلى عن شهوتى الفرج والبطن، وعن كل شئ حسى يدخل الجوف من دواء ونحوه .

وقولهم فى التعريف : «فى زمن معين» أى زمن الصوم وهو من طلوع الفجر الثانى أى الصادق، إلى غروب الشمس «فهذا تحديد للزمن الذى يصح فيه الصوم ولا يصح فى غيره» .

وقولهم : «من شخص معين أهلٍ له» وهو : المسلم ، العاقل، غير

(٤) تفسير القرطبى ج١ ص٦٥٠ .

(٥) الفقه على المذاهب الأربعة - لجنة من العلماء - وزارة الأوقاف .

الحائض والنفساء، بيان للشخص الذى يصح الصوم منه فإذا صام غير المسلم، أو صام المسلم المجنون، أو صامت النفساء أو الحائض لا يصح الصوم .

وقولهم «بنية» والمراد بها عزم القلب على إيجاد الفعل جزماً بدون تردد، والنية هنا للتميز بين العادة والعبادة[٦] ، فلا يصح إلا بها على نحو ما سيأتى تفصيله فى أحكام الصوم .

إذن يمكننا تعريف الصوم ، بأنه : «الإمساك عن جميع المفطرات من طعام وشراب، وكل شئ حسى يمكن دخوله إلى الجوف، وعن جماع النساء فى نهار رمضان بنية مخصوصة» .

* * *

(٦) انظر : الفقه الإسلامى وأدلته - وهبة الزحيلى ج٣ ص١٦١٦ .

المبحث الثالث
مراحل تشريع الصيام

مر تشريع الصيام بعدة مراحل سجلها القرآن الكريم عندما قال : ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾[٧] يقول ابن كثير : المريض والمسافر لا يصومان فى حال المرض والسفر لما فى ذلك من المشقة بل يفطران ويقضيان بعد ذلك من أيام أخر ، وأما الصحيح الذى يطيق الصيام فقد كان مخيراً بين الصيام وبين الإطعام إن شاء صام ، وإن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً ، وإن شاء أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وإن صام أفضل من الإطعام ، ولهذا قال : ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ .

فمراحل تشريع الصيام :

أ - صوم ثلاثة أيام من لك شهر ، فإن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء .

ب - فرض الله الصيام ، عندما أنزل : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ إلى ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه .

---

(٧) سورة البقرة الآيتان ١٨٤ - ١٨٥ .

جـ - فرض الصيام على كل قادر ، وذلك عندما أنزل الله الآية التالية : ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام(٨) فقوله : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ نسخ قوله : ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ قيل : «نزل فى رمضان فشق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكيناً ترك الصوم فمن يطيقه ورخص لهم فى ذلك فنسختها : ﴿وإن تصوموا خير لكم﴾ وهذا على قراءة الجمهور ﴿يطيقونه﴾ أى يقدرون عليه لأن فرض الصيام هكذا من أراد صام ومن أراد أطعم مسكيناً، وقال ابن عباس : نزلت هذه الآية رخصة للشيوخ والعجزة خاصة إذا أفطروا وهم يطيقون الصوم ثم نسخت بقوله : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فزالت الرخصة إلا لمن عجز منهم»(٩) وعن سر إعادة قوله تعالى: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ أى حكم المريض والمسافر ومن فى حكمهما يقول النسفى: (لما) نسخ التخيير - أى بين الصوم وبين الإفطار واطعام مسكين - بقوله : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ ذكر قوله : ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ ، لأنه لما كان مذكوراً مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء الحكم(١٠) .

وعن نسخ حكم الإفطار والإطعام ، يروى عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها»(١١) ، وتوضح الرواية التى بعدها الآية الناسخة فيقول : «كنا فى رمضان على عهد رسول الله ﷺ من شاء صام ومن شاء أفطر فاقتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ .

(٨) انظر تفسير ابن كثير جـ١ ص٢١٦ . (٩) تفسير القرطبى ج٢ ص٦٦٤ .
(١٠) انظر تفسير النسفى ج١ .
(١١) رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع - كتاب الصيام - باب نسخ قوله وعلى الذين يطيقونه ج٣ ص١٩٨ .

«واختلف السلف فى الآية الأولى ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ هل هى محكمة ، أو مخصوصة ، أو منسوخة كلها أو بعضها ، فقال الجمهور : منسوخة كقول سلمة ، ثم اختلفوا هل بقى فيها شئ لم ينسخ ؟ فروى عن ابن عمر والجمهور : أن حكم الإطعام باق على من لم يطق الصوم لكبر وقال جماعة : جميع الإطعام منسوخ وليس على الكبير الذى لم يطق الصوم اطعام ، وقال قتادة : كانت الرخصة لكبير يقدر على الصوم ثم نسخ فيه وبقى فيمن لا يطيق .

وممن قال بأنها محكمة ابن عباس رضى الله عنهما : وقال إنها نزلت فى الكبير والمريض الذين لا يقدر!ن على الصوم .

ورأى زيد بن أسلم والزهرى أنها محكمة ونزلت فى المريض ثم يبرأ ولا يقضى حتى يدخل رمضان آخر فيلزمه صومه - أى رمضان - ثم يقضى بعده ما أفطر ويطعم عن كل يوم مداً من حنطه .

أما من اتصل مرضه برمضان الثانى فليس عليه إطعام بل عليه القضاء فقط ، وجمهور العلماء على أن المرض المبيح للفطر هو ما يشق معه الصوم»(١٢) .

ويروى البخارى عن ابن عمر وسلمة بن الأكوع قولهما : نسختها -أى آية وعلى الذين يطيقونه فدية- نسختها آية : ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾(١٣) .

ويروى النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما : فى قوله عز وجل : ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ ، يطيقونه : يكلفونه فدية مسكين

(١٢) النووى ج٣ ص١٩٨ .
(١٣) رواه البخارى - كتاب الصيام - باب وعلى الذين يطيقونه فدية ج٣ ص٤٤ ط الشعب .

واحد ، فمن تطوع خيراً طعام مسكين آخر ليست بمنسوخة فهو خير له وان تصوموا خير لكم : لا يرخص فى هذا إلا للذى لا يطيق الصيام أو مريض لا يشفى»[١٤] وعلى ضوء ما سبق من أقوال المفسرين ، وروايات الحديث تخلص إلى أن تشريع الصوم كان كما يلى :

١ - فعل النبى ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام عاشوراء .

٢ - فرض الله الصيام على التخيير ، بأن أباح الفطر للمريض والمسافر وخير الصحيح القادر بين الصوم ، أو الإفطار والإطعام مداً لمسكين واحد ، وجعل الزيادة فى الإطعام خيراً له ، وجعل الصيام خيراً من الفطر والإطعام .

٣ - نسخ ذلك كله إلى التشريع النهائى الثابت وهو وجوب الصيام على كل من شهد الشهر ، وتوفرت فيه شروط الوجوب وشروط الصحة ، مع وجود الرخص المعنية على اتمام الصوم واكمال عدته ، وذلك بقول الله تعالى : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ .

ولا يخفى ما فى التدرج بهذا التشريع من رحمة بالغة من الله بعباده ليألفوا العبادة ولتستقر فى نفوسهم ، فيؤدونها وهم لها محبون وعليها حريصون ، لا ينفرون منها ولا يضيقون بها فيكونون أكثر ثباتاً عليها وتمسكاً بها وفرحاً بأدائها وإكمالها .

وهذا توجيه لكل دعاة الحق الذين يبغون صرف الناس عما ألفوه من سيئ العادات ، أو محاب نفوسهم من المخالفات إلى أن يراعوا معهم سنة التدرج والتجزئة فى دعوتهم ، حتى لا يستثقل هؤلاء المخالفون دعوة الحق والهداية إلى الخير .

* * *

(١٤) رواه النسائى - كتاب الصوم باب تأويل قول الله : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ج٣ ص١٩٠ ، والترمذى - الصوم - باب ما جاء فى قوله «وعلى الذين يطيقونه» ج٣ ص١٥٣ كلاهما عن ابن عباس .

المبحث الرابع
فضائل الصوم ﴿ لعلكم تتقون ﴾

إن كل عبادة يكلفنا الله تعالى بها لابد لها من غاية وحكمة شرعت من أجلها بجانب كونها طاعة لله وامتثالاً لأمره سبحانه، وتحقيقا للعبودية، وتأكيدها، ولذا فإن لفريضة الصوم وتشريعه حكماً وفوائد تعود على الصائم فى الدنيا والآخرة، وقد أشار القرآن إليها إجمالاً فى قوله ﴿لعلكم تتقون﴾ وقد نبه الرسول ﷺ إليها على سبيل الإجمال عندما قال فى سياق أحاديث الفضائل «والصوم جنة» أى وقاية وستر وحفظ، وهذا هو البيان :

١ - حفظ النفس عن المعاصى :

فقوله سبحانه وتعالى ﴿**لعلكم تتقون**﴾ فقد قيل فى معناه : أى لعلكم تضعفون ، فإنه كلما قل الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصى، كما قيل : لتتقوا المعاصى، وقيل أيضاً هو على العموم لأن الصوم كما قال عليه السلام : جنة ووجاء، والجنة هى الستر والمانع من الرفث والآثام ومانع من الشر ومنه المجن وهو الترس(١٥) .

ويكون اتقاء المعاصى بالصوم لأنه أظلف للنفس واردع لها عن السوء(١٦)، حيث يعود النفس الصبر ، والتحمل فيكون ذلك سبباً للبعد عن كل سوء وشهوة انتقام أو غضب .

وعن فضائل الصوم وما أعده الله للصائمين يقول رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه :

أ - قال ﷺ : «قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، والصوم جنة ، فإذا يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا

(١٥) انظر تفسير القرطبى ج٢ ص٦٥٤ .
(١٦) تفسير النسفى ج١ .

يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إنى امرؤ صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه»[١٧] .

وفى رواية : «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك»[١٨] .

ب - قال ﷺ : «إن فى الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد»[١٩] .

جـ - وقال : «إذا كان رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[٢٠] .

وفضل الصوم ، وثواب الصائمين كما تبين لنا من خلال ما ذكرناه من الأحاديث وهو قليل من كثير اكتفينا بذكره عن غيره ، فمن الفضائل :

٢ - زيادة الثواب ومضاعفة الأجر:

وهذا المعنى مفهوم من الجزء القدسى المروى عن رب العزة من الحديث : «كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» وفى الرواية الأخرى : «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة

(١٧) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - فضل الصوم - واللفظ لمسلم ج٣ ص٢٠٨ ، ورواه النسائى - فضل الصيام - عن على بن أبى طالب روى بعضه ، وبعضه رواية أبى هريرة .

(١٨) رواه مسلم عن الأعمش عن أبى صالح - فضل الصوم ج٣ .

(١٩) رواه البخارى ، ومسلم عن سهل بن سعد - فضل الصوم - واللفظ لمسلم ج٣ ص٢٠٩ ط الشعب .

(٢٠) رواه مسلم عن أنس عن أبى هريرة - كتاب الصوم فضل الصوم ج٣ ص١٣٣ والنسائى عن أبى هريرة - فضل شهر رمضان ج٤ ص١٣٨ .

ضعف قال الله : «إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» ففى الحديث أضاف الله الصوم إلى نفسه وهو عبادة ، والعبادات كلها الله بياناً لمكانته وزيادة أجره ، ويجتهد العلماء لبيان الحكمة من اضافة الصوم إليه سبحانه وتعالى ، فيقول النووى : اختلف العلماء فى معناه مع أن كل الطاعات لله ، فقيل سبب اضافته إلى الله تعالى أنه لم يعبد به أحد غير الله تعالى ، فلم يعظم الكفار معبوداً لهم بالصيام .

وقيل : لأنه الصيام بعيد عن الرياء لخفائه بخلاف غيره ، وقيل : لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ - أى لا يناله مدح من الخلق لأنه غير مرئى أو شاهد للخلق فيمدحون الصائم بسببه . وقيل : إنه المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته وغيره من العبادات ، أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها وقيل إن الإضافة للتشريف كقوله : «ناقة الله» مع أن العالم كله لله تعالى»[٢١] .

ويبين الإمام الغزالى أن إضافة الصيام إلى الله تشريف له ، وإن كانت كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له ، وذلك لمعنيين :
أحدهما : تمام الإخلاص والتوجه إلى الله تعالى وهو عبادة ترك . ويقول : إن الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد ، وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى ، والصوم لا يراه إلا الله عز وجل ، فإنه عمل فى الباطن بالصبر المجرد .

ثانيهما : أنه قهر لعدو الله عز وجل ، فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال › : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا عليه مجاريه بالجوع»[٢٢] ، هذا ولا مانع من أن تكون هذه الإضافة لكل الأسباب السابقة التى ذكرها العلماء ، إلا أن الأمر الذى لا مرية فيه والحقيقة التى لا يمارى فيها أحد ، هى زيادة أجر الصوم كطاعة [illegible] كل الطاعات ، فثوابه

(٢١) شرح النووى على مسلم - بتصرف خفيف - ج٣ ص [illegible] ط الشعب .
(٢٢) رواه ابن ماجه - باب فى المعتكف يزور أهله فى المسجد ج١ ص٥٦٦ .

متميز مضاعف، وهذا ما نستشعره من رواية الأعمش : « . . إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع طعامه وشرابه من أجلى» إذ أن الصائم يترك ملذاته وشهواته ومحاب نفسه ، وهذا يتطلب قوة لمجاهدة النفس ورغباتها والصبر على ذلك - وهذا لا يتحقق لشخص إلا إذا عظمت ثقته فى ثواب الله ، ويقينه البالغ بوعد ربه له بالجنة والأجر - وهذا ما يفعله الصائم من أجل أن ينال ثواب الله ويحظى برضاه ، وهذا ما يجعل الأجر كبيراً يتناسب مع العبادة لأن الأجر على قدر المشقة فى أداء الطاعة .

وقوله : «وأنا أجزى به» فيه بيان لعظم الفضل وكثرة الثواب لأن الكريم إذا أخبر أنه يتولى بنفسه الجزاء ، اقتضى عظم الجزاء وسعة العطاء»(٢٣) .

والصوم مبنى على الصبر بالدرجة الأولى ، فالصائمون صابرون وقد قال تعالى : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾(٢٤) فأجر الصائمين من أجر الصابرين غير محدود ولا محسوب وإذا كان كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف فإن أجر الصائم لا يخضع لهذا المقياس فإنه يزيد ويربو إلى درجة لا يعلمها إلا الله وتتناسب مع عطاء الكريم لعباده .

٢ - التكريم الخاص للصائمين:

وهذا أيضاً يرجع إلى عظيم الأجر وجزيل الثواب الذى أعده الله للصائمين، فمع أن كل المؤمنين سيدخلون الجنة وترحب بهم الملائكة تكريماً لهم، كما فى قوله تعالى : **﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾**(٢٥) وقوله : **﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**(٢٦) .

---

(٢٣) انظر النووى ج٣ ص٢٠٦ .
(٢٤) سورة الزمر الآية ١٠ .
(٢٥) سورة الزمر الآية ٧٣ .
(٢٦) سورة الرعد الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .

مع كل هذا لجميع المؤمنين إلا أن رسول الله ﷺ يخبرنا بأن للصائمين باباً خاصاً بهم يدخلون الجنة منه لا يدخل معهم غيرهم، وهذا تميز لهم، وبيان لمكانتهم وفضلهم وزيادة أجرهم وعظيم ثوابهم حيث ينادى عليهم للدخول منه، فإذا دخلوا أغلق عن غيرهم، وتخصيص مكان محدد لفئة معينة دليل على علو مكانتهم، وإشارة إلى فضلهم.

ولتقريب ذلك مع فارق التمثيل، نرى أن فى الهيئات استراحة لعامة العاملين، واستراحة أخرى متميزة أرقى، لكبار الضيوف كما أن فى المطارات مثلاً أبواباً لعامة المواطنين - وباباً آخر خاصاً بكبار الزوار والضيوف، فإن أبواب الجنة يدخل منها كل من آمن بالله ولقى الله مؤمناً، أما الصائمون وهم الطبقة المتميزة فى المعاملة فلهم بابهم الخاص بهم، وفى ذلك بيان واضح لفضيلة الصيام وكرامة الصائمين وما لهم من فضل ومكانة عند الله، ولم لا؟ وقد حرموا أنفسهم ملذاتها فتركوها لله ومن أجل رضاه، وكانوا يدافعون شهواتهم ويجاهدون أنفسهم ليحققوا الأجر ويثبت الثواب، «والمدار فى ذلك - أى ترك الشهوات - على الداعى القوى الذى يدور معه الفعل وجوداً وعدماً، ولا شك أن من لم يعرض فى خاطره شهوة شئ من الأشياء طوال نهاره إلى أن أفطر، ليس هو فى الفضل كمن عرض له ذلك فجاهد نفسه فى تركه»[٢٧] فزيادة الأجروالكرامة لزيادة الجهاد للثبات على الطاعة، فعوضهم الله أجراً كبيراً ومكانة عظمى لصبرهم على الجهاد والطاعة.

٤ - طيب خلوف فم الصائم:

وهذا من تكريم الله للصائم ورضاه عن فعله، ويقسم رسول الله ﷺ على تلك الحقيقة فيقول: «والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك» وفى الرواية الأخرى: «ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك» - ومعنى «خلوف فم الصائم» أى رائحته عندما

(٢٧) انظر: فتح البارى - ابن حجر العسقلانى ج٨ ص٢٤٠ ط الكليات الأزهرية.

تتغير بسبب خلو الجوف ، وقيل فى معناه : يجازيه الله به فى الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك ، كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح مسك ، وقيل يحصل لصاحبه من الثواب أكثر مما يحصل لصاحب المسك»[٢٨] وأياً ما كان المراد فإن دلالة فضل الصيام ومكانة الصائم جلية واضحة ، خاصة وأن رائحة الفم التى قد ينفر منها الخلق ، تقع عند الله موقع الرضا والقبول لأنها بسبب الجوع فى طاعة الله وامتثال أمره .

٥ - فرحتا الصائم :

إن كل طاعة تؤدى تفرح صاحبها وتجعله يشعر بالرضا والارتياح ، والصوم من العبادات طويلة الوقت «من الفجر إلى الليل» ولذا فإن الإنسان عندما يوفقه الله ويؤدى صيامه كاملاً إلى الليل يشعر بالفرحة والغبطة بإتمام صوم يومه وله بهذا فرحتان كما بين لنا ذلك رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه عندما قال : « . . وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى الله فرح بصومه» ، فأما الفرحة الأولى عند الإفطار وهى فى كل يوم من أيام رمضان يتم صومه ، وكذلك يوم عيد الفطر عند اتمام صيام رمضان ، والفرحة هنا لها جانبان : جانب طبيعى وهو شعور الصائم بأنه أبيح له ما كان محرماً عليه من الطعام والشراب والشهوات فى نهار رمضان بسبب الصيام ، وهذا الجانب يشترك فى الفرحة به جميع الناس ، بل والحيوانات التى يباح لها ما حرمت منه وحبست عنه ، وجانب روحى مرتبط بالإيمان بالله والثقة فى وعده - وهو أرقى وأعلى من الجانب الطبيعى السابق - فإن الفرحة عندئذ تكون بسبب إحساس تمام العبادة وارضاء الله وامتثال أمره وعدم عصيانه وبالتالى ثبوت الأجر والثواب على هذه العبادة وأما الفرحة الثانية : عند لقاء الله جل وعلا وعندئذ يفرح الصائم بصومه ، والمراد الفرحة بأجر الصوم الذى يحصل عليه من ربه جزاء له على صبره فى الصيام والتزامه آدابه ومراقبة الله وعبادته واحياء ليالى رمضان بالقيام وقراءة القرآن والذكر - فهذا يوم نوال الجائزة والحصول على أجر العمل والعبادة .

(٢٨) انظر : شرح النووى على مسلم ج٣ ص٢٠٦ .

فالفرحة حاصلة – واعلاؤها يكون بملاحظة سببها وهو الفرحة يوم الفطر بثبوت الأجر ، وعند لقاء الله بالحصول عليه ، وينقل النووى عن العلماء قولهم : «قال العلماء : أما فرحته عند لقاء ربه فبما يراه من جزائه وتذكر نعمة الله عليه بتوفيقه لذلك – أى للصيام – وأما عند فطره فسببها تمام عبادته وسلامتها من المفسدات وما يرجوه من ثوابها»(٢٩) وهذه أرقى أنواع الفرحة وأعلى أسبابها .

٦ - فتح أبواب الطاعات وسد أبواب المعاصى والسيئات :

لأن الصوم عبادة خالصة بين العبد وربه ، ولا يطلع عليها مخلوق ، ومفهومها ترك الشهوات والبعد عن المعاصى والسيئات ، فإن الله تعالى جعل ذلك من أسباب تيسير الطاعة ويسرها على العباد لتوفر أسبابها بقمع الشهوات كما جعل هذه الطاعات مانعاً من مباشرة السيئات والولوج إلى مواطن الهلاك ، وهذا المعنى ما أخبر به النبى ﷺ عندما قال : «إذا كان رمضان ، فتحت أبواب الجنة ، وغلقت جهنم ، وسلسلت الشياطين» والمراد تفتح أبواب الجنة ليدخلها الطائعون الذين هذبهم الصيام فوقى نفوسهم من عبث الشيطان الذى ضيقت عليه مجاريه بالجوع والعطش ، فاستقاموا على طاعة الله وتركوا شهواتهم بسبب محافظتهم على الصيام ليكون مقبولاً عند الله ، ولأن الشيطان لا يستطيع أن يتعامل مع الصائم لأن الشهوات هى مداخله إلى قلب الإنسان – مكسوره وضعيفه بسبب الصيام والجوع فإنه لا يجد سبيلاً إلى قلب الصائم ليوسوس له أو يهون له المعصية لأن الإنسان ضعيف بصومه فإنه عاجز عن تحقيق غوايته وحقده فكأنه كالمقيد بالسلاسل لا يستطيع حراكاً ولا يمارس عملاً ، ولذا كنى رسول الله ﷺ عن عدم وجود عصاة بقوله «وغلقت جهنم» أو «غلقت أبواب النار» لعدم وجود من يدخلها من أمته لأن الصيام وقاهم وحفظهم وإذا أخطأ أحدهم فإن باب التوبة مفتوح ليلاً ونهاراً ، و «إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل

(٢٩) انظر النووى على مسلم ج٣ ص٢٠٦ .

ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار»[٣٠] و«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٣١] ومع هذه الرحمة بجميع الخلق فى غير رمضان بصفة عامة، وفى رمضان بصفة خاصة ومع الصيام جنة الصائم ووقايته وحفظه فمن أين يكون للنار أهلاً ورواداً، من أمة محمد الصائمين القائمين الذين أعجزوا الشيطان بوصل قلوبهم بربهم، فوقف اللعين مكتوف اليدين خائب الرجاء.

«وقيل: إن تفتيح أبواب الجنة، وتغليق أبواب النار، وتصفيد الشياطين على الحقيقة وأنه علامة على دخول الشهر وتعظيم لحرمته، ويكون التصفيد ليمتنعوا عن إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم، ويحتمل أن يكون ذلك على المجاز إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وإن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذاؤهم فيصيرون كالمصفدين، ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء وعن أناس دون الناس، وقد يكون المراد بفتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله من الخيرات على العباد، والعبادات التى لا تقع فى غيره، وكذلك تعليق أبواب النار»[٣٢].

والنفس تميل إلى القول الثانى وهو حمل ذلك على المجاز، وإنه دلالة على كثرة الثواب والعفو وعجز الشياطين عن الغواية، وترجيح هذا القول على غيره من وجهة نظرى - للأمور الآتية:

١ - ما ورد فى رحمة الله بعباده وقبول توبتهم فى كل الأوقات: وهذا على سبيل الرحمة بهم والعفو عن زلاتهم، وثمرة لذلك كله إكرامهم بدخول الجنة وفى الحديث: «لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب عضبى»[٣٣] وفى رواية له: قال الله عز وجل:

---

(٣٠) رواه مسلم كتاب التوبة - باب قبول توبة القاتل ج٥ ص٦٠٣ ط الشعب.

(٣١) رواه الترمذى - القيامة - عن أنس ٤٩ / ٢٤٩٩.

(٣٢) النووى على مسلم ج٣ ص٣٣.

(٣٣) رواه مسلم عن أبى هريرة - كتاب التوبة - باب سعة رحمة الله تعالى ج٦ ص٥٩٥.

«سبقت رحمتى غضبى» والله تعالى هو الرحمن الرحيم القائل : ﴿ورحمتى وسعت كل شئ﴾(٣٤) فرحمة الله تعالى أغلب وأشمل وأقرب للعباد، ومغفرته مقدمة على عقابه ، فعند وصفه الإنسان بأنه «ظالم لنفسه» وصف نفسه سبحانه بأنه «غافر الذنب ، وقابل التوب» والظالم إذا دعا الله تعالى بالمغفرة وجده غافراً لذنبه قابلاً لتوبته ، وعند وصف عز وجل الإنسان بكونه «ظلوماً جهولاً» أخبر عن نفسه سبحانه بأنه كان «غفوراً رحيماً» لكل معصية للإنسان يتوب عنها ، أو ذنب يرجع عنه لها مغفرة ورحمة من الله ، فهو «التواب» الذى يقبل توبة كل التائبين - ومفهوم الحديث : «إذا كان رمضان» لو كان على الحقيقة، وأن تفتح أبواب الجنة ، وإغلاق أبواب النار على الحقيقة فمعنى ذلك أن الجنة تفتح أبوابها سنوياً شهراً واحداً، وأن النار تفتح أبوابها أحد عشر شهراً، وتغلق شهراً واحد ، وبهذا يكون الرحمة أضيق من الغضب، وهو - أى الغضب - أسبق منها فكان المناسب المعنى المجازى أن زيادة الطاعات تسهل دخول الجنة وكنى عن ذلك بفتح الأبواب - وهذا فى رمضان وغيره ، وأن حفظ الصيام لقلب الصائم وحفظه من تسلل الشيطان إليه «لأنه أى الصوم - جنة أى ستر ووقاية - جعل الإنسان بعيداً عن مقارفة السيئات التى تدخل النار وكنى عن ذلك بإغلاق أبواب النار لأنه ليس هناك داخل عليها بسبب معصية من الصائمين .

٢ - سلسلة الشياطين أو تصفيدهم لمنعهم عن الغواية وحفظ صوم الصائمين منهم - يراد به عجز الشياطين عن الوسوسة والتسلل إلى قلب الصائم، لأنه ضعف بالصوم عن مباشرة المعاصى الناشئة عن الشهوات التى أضعفها الصوم وعندئذ لا مدخل للشيطان إلى قلب الإنسان فكلما بحث اللعين عن مدخل يدخل منه ليجر الإنسان إلى المعصية وجد القلب محصناً محفوظاً بالصوم فيقف مكتوف اليد عاجزاً عن الغواية فيكون حاله كحال من قيد بالسلاسل والأغلال فعجزه هنا يرجع إلى ذات الصائم ومدى تمسكه

(٣٤) الأعراف من آية ١٥٦ .

بصيامه وبعده عن الحرام وحرصه على رضا ربه ، خاصة وأن هناك طوائف من الناس غير صائمين ، أو غير مسلمين لا يمنع الشيطان ولا يعجز عن اللعب بهم وغوايتهم وهذا مرجعه إلى ذواتهم فليست لديهم جنة ولا وقاية ولا حصانة تمنع الشيطان عنهم ويبين الله لنا ذلك فى حواره مع الشيطان : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾[٣٥] فلا سلطان ولا سيطرة على عباد الله المخلصين ، والمجاز فى لفظ «سلسلت» أو «صفدت» كقولك لصاحبك الذى يسألك عن غيابك عنه : أنا مربوط بسلسلة العمل ، أو أنا مكبل عن الحركة تعنى بذلك أن التزاماتك منعتك عنه كما تمنع السلاسل والأصفاد من ربط بها - فليست هناك سلاسل حقيقية ولا أصفاد فعبر بالسبب وأراد المسبب .

٣ - وهناك تساؤل عقلى مفترض مترتب على القول بحقيقة تفتيح أبواب الجنة ، وتغليق أبواب النار ، ما مصير من مات فى غير رمضان من المسلمين ، هل سيمنع من دخول الجنة لأنها مغلقة الأبواب ؟ ، وكذلك من مات من غير المسلمين فى رمضان هل سيكون بمأمن من دخول النار لأنها مغلقة؟ وأعتقد أن الأمر ليس كذلك بل كل مجزى بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والقبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ، وقد ورد أن الميت ينبغى الإسراع به إلى الخير الذى ينتظره بدخوله الجنة ، كما ينبغى الإسراع بغير الصالحين تعجيلاً لهم بمباشرة مصيرهم الذى ينتظرهم بسبب معاصيهم وهذا فور الدفن فقد روى أن النبى ﷺ قال : «اسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»[٣٦] وروى أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة ، قالت : قدمونى ، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها يا ويلها أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كل

(٣٥) سورة الحجر الآية ٤٢ .
(٣٦) الحديث رواه البخارى - الجنائز - باب السرعة بالجنازة ج٢ ص١٠٨ ط الشعب .

شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق»[٣٧] وقد روى أن رسول الله ﷺ فى إحدى غزواته لما دنا منه المشركون قال : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، فقال عمير بن الحمام الأنصارى : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال : نعم، قال : بخ بخ ، فقال له رسول الله ﷺ ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال فإنك من أهلها ، فأخرج ثمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتى هذه إنها لحياة طويلة، قال : فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل»[٣٨] .

وما هو معلوم أيضاً أن الجنة والنار موجودتان الآن ، وليس كما قال بعدم وجودهما أصلاً ، كالفلاسفة ، أو من ادعى عدم وجودها فى الماضى وأنهما يوجدان يوم القيامة – فيما موجودتان فى الماضى والحاضر وقصة آدم عليه السلام خير شاهد لذلك فبها ثبت وجود الجنة ، ولم يقل أحد بثبوتها دون النار – فهى – أى النار – ثابتة أيضاً[٣٩] . وقد روى أن رسول الله ﷺ كشف عن الجنة والنار ورأى بعض المشاهد فيهما .

والغاية من إيراد هذه الأدلة وتلك البراهين على ثبوت الجنة والنار ووجودهما الآن، هو الوصول إلى أن كلاً منهما تستقبل أهلها، فتستقبل الجنة المؤمنين الصالحين وتتلقف النار العصاة والمذنبين – فهما مفتوحتان ، وما ورد من تفتيح أبواب الجنة فى رمضان ، وإغلاق أبواب النار فيه أيضاً محمول على المجاز كما سبق بيانه وإيضاحه والله أعلم بالصواب[٤٠] .

---

(٣٧) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدرى :

(٣٨) بعض من حديث لمسلم – والحديث بتمامه رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك – كتاب الجهاد – باب ثبوت الجنة للشهيد ج٤ ص٥٦٣ ط الشعب .

(٣٩) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، شيخ الإسلام ابراهيم البيجورى ص٢٢٠ ط الأزهر .

(٤٠) حيث إن العلماء اجتهدوا وبينوا ، ووافقناهم اجتهاداً منا . ونفوض العلم فى ذلك إلى الله ، فهو وحده أعلم بالكيفية حقيقة كان الأمر أم مجازاً، ولكن المؤكد هو المداومة على الطاعة والعمل الصالح .

الفصل الثاني

أحكام الصوم الفقهيــة

* بم يجب الصوم ؟ واختلاف المطالع
* وقته ، والفجر المعتبر شرعاً
* شروطه
* حكم من طلع عليه الفجر وهو جنب
* حكم المريض والمسافر
* مفسدات الصوم (مفطرات الصائم)

المبحث الأول

بم يجب الصوم وحكم اختلاف المطالع

﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾

لما نزل قول الله تعالى : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ نسخ ما قبله من تشريعات سابقة فى فرض الصيام ، وأصبح الصوم واجباً حتمياً على كل مسلم قادر على الصيام ، فبهذا التشريع الأخير أصبح الصوم واجباً ايجاب حتم على من شهد استهلال الشهر بأن كان مقيماً فى البلد حين دخل الشهر وهو صحيح فى بدنه بأن يصوم لا محالة ونسخت هذه الآية الإباحة المتقدمة لمن كان صحيحاً أن يفطر ويفدى بإطعام مسكين(٤١) ، ولنا أن نتساءل : بم يجب صوم رمضان ؟ والجواب واضح جلى بينته السنة النبوية الشريفة - فالصوم يجب بأحد أمرين :

أ - إما برؤية هلال رمضان ، ب - وإما بإكمال شعبان ثلاثين يوماً .

وتشهد بذلك روايات السنة وأقوال الفقهاء ، وفيما يلى البيان :

أ - عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **«الشهر تسع وعشرون فإذا رأيتم الهلال فصوموا وإذ رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له»**(٤٢) .

ب - وعن ابن عمر أيضاً : **«أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فضرب بيديه، فقال الشهر هكذ وهكذا ثم عقد إبهامه فى الثالثة فصوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فاقدروا له ثلاثين»**(٤٣) .

---

(٤١) تفسير ابن كثير جـ١ .

(٤٢) رواه البخارى - كتاب الصوم - باب قول النبى : إذا رأيتم الهلال فصوموا، ومسلم - كتاب الصوم - وجوب الصوم لرؤية الهلال ج٣ ص١٣٤ ، وكلاهما عن ابن عمر، واللفظ لمسلم .

(٤٣) مسلم عن ابن عمر - الصوم - وجوب الصوم لرؤية الهلال ج٣ ص١٣٤ .

ففى الرواية الثانية عن ابن عمر بيان عملى على عدد أيام شعبان حيث (ضرب النبى بيديه) مفرقاً بين أصابعه وعددها عشرة أصابع قائلاً الشهر هكذا (عشرة) وهكذا (عشرة) فالمجموع عشرون ، وفى الثالثة قال : هكذا لكنه عقد الإبهام أى ثناه فصار عدد الأصابع تسعة فصار المجموع تسعة وعشرين .

وهذا ما بينته الروايات الأخرى : «**الشهر هكذا وهكذا وهكذا عشراً وعشراً وتسعاً**»[٤٤] وهذا بيان لطيف لبيان عدد الأيام حيث جمع رسول الله ﷺ بين الإشارة الموضحة مع الشرح القولى ، فهو استخدام الإشارة فى البيان والإيضاح .

«وقد احتج الجمهور بالروايات المذكورة فأكملوا العدة ثلاثين - أى عدم رؤية الهلال - كما حمل جمهور الفقهاء قوله ﷺ : «فاقدروا له» على أن المراد اكمال العدة ثلاثين كما فسره فى حديث آخر ، قالوا : ولا يجوز أن يكون المراد حساب المنجمين لأن الناس لو كلفوا به لضاق عليهم ، لأنه لا يعرفه إلا أفراد ، والشرع إنما يكلف الناس بما يعرفه جماهيرهم [٤٥] ، ولا يشترط رؤية كل إنسان بل يكفى جميع الناس رؤية عدلين ، وكذا عدل على الأصح - هذا فى الصوم ، وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوزه بعدل»[٤٦] .

الحكم عند اختلاف المطالع :

باتساع رقعة العالم الإسلامى وانتشار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، يمكن أن تختلف مطالع الهلال ، فقد يرى فى بلاد الشرق فى ليلة ولا يرى فى بلاد الغرب إلا فى الليلة التالية ، فيا ترى ما الحكم المعتبر عند اختلاف المطالع ؟

(٤٤) رواه مسلم عن ابن عمر - كتاب الصوم - باب وجود الصوم لرؤية الهلال ج٣ ص١٣٤ .

(٤٥) يفهم من هذا أن العلة فى عدم الاعتماد على المنجمين (علماء الفلك) هو قلتهم وندرتهم ومعنى ذلك أنهم لو كثروا جاز الاعتماد على حساباتهم - وهذا غير مراد فالأصل هو الرؤية .

(٤٦) انظر النووى على مسلم ج٣ ص١٣٥ ط الشعب .

والأصل فى هذه القضية ، ما رواه مسلم رضى الله عنه ، عن كريب «**أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام قال : فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل علىَّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر فسألنى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة ، فقال : أنت رأيته؟ فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية ، فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه ، فقلت : أولاً نكتفى برؤية معاوية ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ**»(٤٧) ، فالمعنى القريب والمباشر للحديث هو أخذ كل بلد رؤيتهم الخاصة ولا علاقة لهم برؤية غيرهم ، إذ أن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعتبر رؤية معاوية رضى الله عنه ، ولكن يا ترى هل وقف العلماء عند ذلك ، أو أن لهم اجتهادات ورؤى حول فقه هذا الحديث ؟ لقد تعددت آراء الفقهاء فى تلك المسألة **فمنهم من قال باعتبار اختلاف المطالع** :

١ - **أخذاً بعموم أحاديث** «صوموا لرؤيته» .

٢ - **والقياس**؛ لاختلاف مطالع القمر على مطالع الشمس ، المنوط به اختلاف مواقيت الصلاة .

٣ - **والمعقول** : حيث إن الشرع أوجب الصوم بولادة شهر رمضان وبدء الشهر يختلف باختلاف البلدان وتباعدها مما يقتضى اختلاف بدء الصوم تبعاً لاختلاف البلدان .

ومنهم من قال بعدم اختلاف المطالع لما يلى :

١ - **من السنة** ، حديث «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته»(٤٨) ، فهذا يدل على إيجاب الصوم على كل المسلمين بمطلق الرؤية ، والمطلق يجرى على إطلاقه فتكفى رؤية الجماعة والفرد المقبول الشهادة .

(٤٧) رواه مسلم عن كريب - كتاب الصوم - باب لكل بلد رؤيتهم ج٣ ص١٤١ .

(٤٨) هو نفس الحديث الذى اعتمد عليه أصحاب القول السابق - وهذا يدل على ثراء الفكر الإسلامى ومرونته .

٢ - **القيــاس** : حيث قاسوا البلدان البعيدة على المدن القريبة من بلد الرؤية، إذ لا فرق ، والتفرقة تحكم لا تعتمد على دليل[٤٩] ، وما عليه الفقهاء : إنه متى تثبت رؤية الهلال بقطر من الأقطار وجب الصوم على سائر الأقطار لا فرق بين القريب من جهة الثبوت أو البعيد إذا بلغهم من طريق موجب للصوم ولا عبرة باختلاف المطالع . ولا يراعى فى ذلك مسافة قصر ولا اتفاق مطالع متى نقل ثبوته - أى الهلال - بشهادة عدلين أو بجماعة مستفيضة ويلزم الناس كلهم الصوم وحكم من لم يره حكم من رآه[٥٠] .

ويرى الشافعية : إن الهلال إذا رئى فى جهة وجب على أهل الجهة القريبة منها من كل ناحية أن يصوموا بناء على هذا الثبوت والقرب يحصل باتحاد المطلع بأن يكون بينهما أقل من أربعة وعشرين فرسخاً تحديداً، أما أهل الجهة البعيدة فلا يجب عليهم الصوم بهذه الرؤية لاختلاف المطلع ، حيث يرون أن اختلاف المطالع لا يكون فى أقل من أربعة وعشرين فرسخاً[٥١] .

وتثبت الهلال فى أى بلد برؤية شخص له ، مع اختلاف عند الفقهاء:

١ - فيرى الحنابلة أن الهلال لابد فى رؤيته من اخبار شخص مكلف .

٢ - بينما يرى الأحناف :

أ - أن السماء إذا كانت غير خالية من موانع الرؤية فلابد من رؤية جماعة كثيرين يقع بخبرهم العلم ويذكروا لفظ (اشهد) .

ب - أما إذا كانت خالية من موانع الرؤية يكفى اخبار الواحد بأنه رآه

(٤٩) انظر الفقه الإسلامى وأدلته - د/ وهبة الزحيلى ج٢ ص٦٠٨ .

(٥٠) هذا مجمل آراء الأحناف والمالكية والحنابلة .

وانظر فتح البارى على صحيح البخارى - ابن حجر ج٨ ص٢٦٠ .

(٥١) انظر آراء الفقهاء : الفقه على المذاهب الأربعة ط الأوقاف ص٥١٦ وما بعدها ، والفقه الإسلامى وأدلته - د/ وهبة الزحيلى .

الفرسخ : ٥٥٤٤ متراً، والمسافة ٥٥٤٤ × ٢٤ = ١٣٣٠٥٦ .

وقدرها بالكيلو متر : ١٣٣٠٥٦ ÷ ١٠٠٠ = ١٣٣,٠٥٦ .

ويكتفى بشهادته ولا يشترط أن يقول (أشهد) ولا يشترط مجلس القضاء ولا الحكم ولا فرق فى ذلك بين الذكورة والأنوثة والحرية أو الرق .

٣ - ويرى المالكية أن أقسام الرؤية ثلاثة :

أ - أن يراه عدلان - والعدل هو الذكر الحر البالغ العاقل الخالى من ارتكاب كبيرة أو الإصرار على صغيرة .

ب - أن يراه جماعة كبيرة يفيد خبرهم العلم ويؤمن تواطؤهم على الكذب ولا يجب أن يكونوا كلهم ذكوراً أو أحراراً عدولاً .

جـ - أن يراه واحد ، ولكن لا تثبت الرؤية بالواحد إلا فى حق نفسه ، أو فى حق من أخبره إذا كان لا يعتنى برؤية الهلال وإلا فلا .

ويفهم من رأى المالكية أن البلد التى رئى فيها الهلال لا يثبت فى حقهم هذه الرؤية إلا إذا كانت من عدلين ، أو من جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب ، ولا يثبت الهلال برؤية واحد له إلا فى حق ذلك الواحد .

ومتى ثبت الهلال فى بلد وجب الصوم على أهل هذا البلد برؤيته ويلزم الصوم كذلك أهل البلاد القريبة ، والبعيدة على ضوء ما سبق ايضاحه وبيانه فى اختلاف المطالع .

وعدم اعتبار اختلاف المطالع هو الرأى الذى مال إليه أغلب الفقهاء لما فى ذلك من توحيد أوقات العبادات فى الأمة مما يدعم وحدتها ، خاصة وإن وسائل الاتصال والإعلام ميسورة ومتوفرة فى الوقت الحاضر أكثر مما سبق مما يدعم الروابط الروحية ، ويقوى المشاركة الوجدانية بين كل الأمة .

❊ ❊ ❊

المبحث الثانى
شروط(*) الصوم

بعد أن أوجب الله الصوم على عباده بالقرآن حيث قال : ﴿**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**﴾ وبالسنة النبوية على لسان نبيه ﷺ حيث قال : «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» ولما للصوم من فضائل وما فيه من جهاد النفس واخلاص العبادة لله فقد تكفل سبحانه بأجره عندما قال : ﴿**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به . .**﴾ وفى ذلك بيان لما لتلك العبادة من فضل ومكانة عند الله وما للصائم من ثواب وأجر ، ولتكون هذه الطاعة على الوجه الصحيح الذى يرضى الله ورسوله فقد اجتهد العلماء فى وضع شروط لها لتتحقق الغاية منها أداء وأجراً وثواباً عند الله – وها هى تلك الشروط التى استنبطوها من نصوص الشرع وأعمال العقل :

أولا : هناك شروط عامة لابد من تحققها على أية حال ولا تصح العبادة إلا بها فهى مناط التكليف :

١ – **الإسلام** : فلا تصح أى عبادة من كافر جاحد لا يؤمن بالله ورسوله إذ كيف تقبل عبادة أو تصح من جاحد منكر للدين شاك فى الرسالة وإذا حدث ذلك – جدلاً – فهى مردودة عليه ويكون كمن بنى بيتاً على الرمال والله يقول : ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**﴾(٥٢) .

٢ – **البلوغ** : فإن الصغير غير مدرك للحكم الشرعى ، ولذا فإنه لا يجب عليه الصوم ، ولا غيره من التكاليف الشرعية لعدم أهليته وعدم تمام عقله وتمييزه .

(*) الشرط هو الأمر الذى يتوقف عليه وجود الحكم ويلزم من عدمه عدم الحكم، ولا يلزم من وجوده وجود الحكم، فلا يلزم من وجود الوضوء الذى هو شرط الصلاة وجوبها، ولا يلزم من وجود الشاهدين وجود عقد الزواج مع أن وجودهما شرط لصحته . . (أصول الفقه – الإمام أبو زهرة ص٤٧) .

(٥٢) سورة الفرقان الآية ٢٣

٣ - **العقل** : لأنه مناط التكليف فهو الذى يميز الأفعال ويدرك الحقائق، ولذا فإن فاقد العقل فاقد للأهلية «ورفع القلم عن المجنون حتى يعقل» وفى رواية «حتى يفيق» .

ثانياً: تقسيم الفقهاء لشروط الصيام:

يصنف العلماء تلك الشروط إلى شروط وجوب ، وشروط أداء، وشروط صحة الأداء .

أ - فيرى الشافعية أن الشروط السابقة شروط وجوب ، وأما شروط الصحة فهى الإسلام والتمييز والخلو من الحيض والنفاس والولادة وقت الصوم، والوقت القابل للصوم (حيث لا يصح الصيام ليلاً - ولابد أن يكون زمن الصوم من الفجر إلى الليل) .

ب - وأما الأحناف فيعتبرون شروط الصيام عموماً هى الشروط العامة (الإسلام والبلوغ والعقل) ، ويجب الأداء إذا تحقق شرط الصحة فلا يجب على مريض ، وشرط الإقامة فلا يجب على مسافر ، وليكون الأداء صحيحاً فلابد من تحقق شروط صحة الأداء وهى : الطهارة من الحيض والنفاس، والنية .

جـ - ويرى المالكية أن للصوم شروط وجوب فقط وهى : البلوغ، والقدرة على الصوم ، وشروط الصحة : الإسلام ، والزمان القابل للصوم، والنية، وشروط وجوب وصحة معاً وهى : العقل فلا يجب على المجنون والمغمى عليه ولا يصح منهما، والنقاء من الحيض والنفاس - فلا يجب على الحائض والنفساء ولا يصح منهما ، ولكن إذا طهرت إحداهما من الدم ولو قبل الفجر وجب عليها تبييت النية .

ومن الشروط دخول شهر رمضان حيث لا يجب قبل دخول الشهر .

د - ويرى الحنابلة : أن شروط الوجوب هى الإسلام والبلوغ والعقل وزاد القدرة على الصوم ، وأما شروط الصحة ، فى : النية وانقطاع دم

الحيض وانقطاع النفاس ، وشروط الصحة والوجوب معاً : الإسلام والعقل والتمييز (٥٣) .

وإيجازاً لما سبق عرضه من آراء الفقهاء ، يمكن القول إن شروط الوجوب وشروط الصحة معاً إذا اختل منها شرط لا يصح الصيام ويمكن سرد هذه الشروط على اختلاف تصنيفها على النحو التالى لتتضح الفائدة وتتحقق الغاية من ذكرها :

١ - الشرط الأساسى وهو دخول شهر رمضان برؤية الهلال أو اكمال شعبان ثلاثين يوماً ، فإذا دخل الشهر وشهده الإنسان وجب عليه صيامه - وهذا باتفاق جميع الفقهاء واجماع الأمة .

إلا أن الشروط التالية هى التى ينبغى مراعاتها عند أداء هذه الفريضة وهى :

٢ - الإسلام فلا يجب الصوم على كافر .

٣ - البلوغ فلا يجب على صبى صغير .

٤ - العقل فلا يجب على فاقد العقل المجنون الذى فقد الأهلية .

٥ - التمييز : فلا يجب على الذى فقد التمييز بين الأشياء ولو كان كبيراً - كالبله ، والموتورين ومن على شاكلتهم .

٦ - القدرة على الصوم : ويراد بذلك أن تكون لديه الطاقة الحسية لأداء الصيام فإن فاقد القدرة على الصوم كالهرم والمريض مرضاً مزمناً لا صيام عليه وعليه الإطعام .

٧ - النقاء من الحيض والنفاس : فإن الحائض أو النفساء أو الوالدة يجب أن تكون طاهرة من كل ذلك وقت الصوم ، وإلا فإنها لا تصوم أثناء ذلك وعليها القضاء بعد النقاء والطهر .

---

(٥٣) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ص٥١٢ وما بعدها بتصرف شديد .

٨ - الصحة والإقامة : والمقصود هنا عدم وجود مرض فإن وجد وخيف معه تأخر الشفاء أو الهلاك لعدم العلاج فإن الصوم غير واجب فى الحال، وكذا المسافر الذى يلحقه الضرر والمشقة فى سفره لا يجب عليه الصوم فى الحال، بل يجوز للاثنين الإفطار وعليهما القضاء عدة من أيام بعد انتهاء رمضان وبعد الشفاء للمريض والإقامة للمسافر .

٩ - الوقت القابل للصوم : أى فى النهار كما قال الله تعالى ﴿من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ فلا يصح الصوم فى غير هذا الوقت المحدد - كما يحلو لبعض المغالطين أن يزعموا كذباً وزوراً وغواية وتضليلا(٥٤) .

١٠ - النية : وهى ركن عند البعض شرط عند البعض الآخر .

تبييت النية أى ايقاعها ليلاً، اعتبره كل الفقهاء لقول الرسول ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»(٥٥) .

فيرى الشافعية أنها ركن : ويجب تجديدها لكل يوم ولابد من تبييتها ليلاً ولو من المغرب إذا كان الصوم فرضاً، أو كفارة أو نذراً، ويسن أن ينطق بها لسانه، أما صوم النفل فإن النية تكفى فيه ولو نهاراً.

ويتفق الأحناف مع الشافعية فى ضرورة ايقاع النية ليلا، وسنية التلفظ بها، ويخالفونهم فى أن وقتها ممتد إلى ما قبل نصف النهار وأنها شرط عندهم وليست ركناً، ويعتبر التسحر نية .

ويوافق المالكية الشافعية حيث يرون أن الصوم فرضاً كان أو نفلاً لا يصح بدون نية، ووقتها من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ولا يضره ما يحدث

(٥٤) يقول بعضهم يكون أذان الفجر الساعة الخامسة، وأذان المغرب الساعة السادسة والنصف مثلاً، فبدلاً من الاستيقاظ للسحور فى الرابعة فجراً - استيقظ فى الخامسة والنصف وأتناول طعامى فى السادسة والنصف وأبدأ صيامى الساعة السابعة صباحاً، وبدلاً من تناول طعام افطارى فى السادسة والنصف مساء أتناوله فى الثامنة وأتأخر الساعتين اللتين تأخرتهما فى بدء الصوم - وهذا كما هو واضح اجتهاد إبليسى وضلال مبين ومردود على أصحابه لأن الوقت الذى حدده الله قد اختلف بهذا العبث وفوضى الإجتهادات الخاطئة .

(٥٥) رواه البخارى - كتاب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ ج١ ص٢ .

بعد النيـة مما ينافى الصـوم ، ويخـالفـونهم فى أن النية الواحدة تكفى فى كل صوم يجب تتابعه ، فإذا انقطع التتابع وجب تبييت النية كل ليلة ، ويعتبرون النية شرط صحة خلافاً للشافعية ، ويعتبر السحور نية حتى ولو لم يخطر بباله الصيام وتتفق الحنابلة مع المالكية والأحناف فى اعتبار أن النية شرط صحة ، ووقتها من غروب الشمس إلى طلوع الفجر فى الصوم المفروض أما إذا كان نفلاً فتصح نيته نهاراً ولو بعد الزوال إذا لم يأت بمناف للصوم ، وتجب النية لكل يوم سواء فى رمضان أو غيره(٥٦) .

وإيجازاً لكل ما تقدم فى حكم النية :

نقول : إن النية فى صيام رمضان يجب أن تبيت ليلاً ووقتها من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، ولا يضر الإتيان مما ينافى النية بعدها كالأكل والشرب والجماع ، وتكفى نية واحدة لكل الشهر إذا لم تتخلل أيام افطار كالمرض أو السفر أو غيرهما ، فإذا تخلل إفطار يجب تجديد النية لما تتابع من الأيام ويعتبر السحور نية ، وهذا فى كل صيام واجب كالكفارة والنذر .

وأما بالنسبة لنية النفل كعاشوراء ، أو ست شوال ، أو ثلاثة من كل شهر أو غيرها - فإنه يجوز ايقاعها ليلاً أو نهاراً إذا لم يأت بعد الفجر بما ينافى الصيام كالطعام والشراب ، فإذا فعل شيئاً من ذلك لا تصح نيته ولا صيامه .

فهذه هى الشروط التى يجب مراعاتها فى الصيام ليكون صحيحاً مقبولاً ، ويجنى الصائم ثمرته برضا ربه عنه وإجزال الثواب له .

❊ ❊ ❊

(٥٦) الفقه على المذاهب الأربعة - بتصرف شديد .

المبحث الثالث
وقت الصوم - والفجر المعتبر شرعاً
﴿من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾

حدد الله تعالى وقت الصوم بالنسبة لليوم وهو من طلوع الفجر إلى الغروب وهو أول الليل ، فيقول تعالى : ﴿.. وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل..﴾ فقد أباح تعالى الأكل والشرب مع إباحة جماع النساء فى أى جزء من الليل شاء الصائم إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل وعبر عن ذلك : بالخيط الأبيض من الخيط الأسود ورفع اللبس بقوله «من الفجر» وفى إباحته جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب ، وقد وردت السنة بالحث على السحور(٥٧) ، فاليوم ليل ونهار ، ليل من الغروب إلى الفجر ، ونهار من الفجر إلى الليل ، وفى نهار رمضان يحرم على الصائم الطعام والشراب والشهوات ، ويباح ذلك فى الليل ولا يخفى على المسلم أن مكارم الأخلاق والآداب التى يتحلى بها الصائم ليكمل صومه يجب التزامها ليلاً ونهاراً ، ولا ينبغى للإنسان أن يترك الحلال ليقع فى الحرام ، فالمباح فى الليل هو ما أمر المسلم بتركه تحقيقاً لأداء فريضة الصيام فى النهار .

وقد وردت السنة النبوية الشريفة ببيان الفجر الذى تبدأ منه عبادة الصوم ، فمن ذلك ما صحح مفهوم «الخيط الأبيض من الخيط الأسود» :

أ - فقد روى الإمام مسلم رضى الله عنه عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : «لما نزلت ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾

(٥٧) تفسير ابن كثير ج١ ص٢٢١ .

قال : عدى بن حاتم يا رسول الله : إنى أجعل تحت وسادتى عقالين ، عقالاً أبيض وعقالاً أسود أعرف الليل من النهار ، فقال رسول الله ﷺ : إن وسادتك لعريض ، إنما هو سواد الليل وبياض النهار»[٥٨] .

ب - وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان لرسول الله ﷺ مؤذنان : بلال ، وابن أم مكتوم الأعمى ، فقال رسول الله ﷺ : «إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم» قال : «ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا»[٥٩] .

جـ - وروى أن رسول الله ﷺ قال : «لا يمنعن أحداً منكم أذان بلال ، أو قال : «نداء بلال من سحور ، فإنه يؤذن أو قال : ينادى بليل ليرجع قائمكم ، ويوقظ نائمكم ، وقال ليس أن يقول هكذا وهكذا وصوب يده ورفعها ، حتى يقول هكذا وفرج بين أصبعيه»[٦٠] .

فمن مجموع هذه الأحاديث نعلم إن بلالاً رضى الله عنه كان يرقى لأذان الفجر قبل أن يحين ، ليستعد المسلمون للصيام بأن يسرع من كان يتناول سحوره ، ويرفع من يجامع زوجته حتى لا يفاجأ أى منهم بحلول الفجر بداية الصوم فيقع فى الحرج الشديد ، وربما يصير الآكل الذى ابتلع ما فى فمه ولم يلفظه ، والمجامع زوجته الذى لم يرفع عنها وينه جماعه مفطرين فيجب على الأول القضاء ، وعلى الثانى القضاء والكفارة . . وهذا ملحظ رائع للمشرع فى مراعاة مشاعر الصائمين وحفظ نفوسهم ، فينبههم إلى قرب انتهاء الليل وإلى طلوع الفجر لتكون هناك بحبوحة من الوقت للاستعداد لبدء الصوم دون حرج أو ألم نفسى ولا غرابة فى هذا فالله سبحانه يقول : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ويقول : ﴿وما جعل عليكم فى

(٥٨) رواه مسلم عن عدى بن حاتم - كتاب الصوم - باب الدخول فى الصوم يحصل بطلوع الفجر ج٣ ص١٤٤ .

(٥٩) رواه مسلم عن نافع وابن عمر - كتاب الصوم - باب صفة الفجر الذى تتعلق به أحكام الصوم ج٣ .

(٦٠) رواه مسلم عن ابن مسعود - رضى الله عنه - باب صفة الفجر الذى تتعلق به أحكام الصوم

الدين من حرج﴾ والتشريعات تهدف إلى رفع الحرج ودفع المشقة، ولا أحرج ولا أشق على المسلم من مثل هذه المواقف المتعلقة بممارسة حق طبيعى تقتضى التشريعات المنع منه - لذلك كان التنبيه أنسب والاستعداد أفضل للبناء النفسى والجسمانى[٦١] .

كم المدة بين الأذانين ؟ : ذكرت رواية ابن عمر أنه قال : «لم يكن بينهما - أى بين الأذانين - إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا» .

ولو كانت المسألة مجرد نزول ورقى كان الوقت غير كاف لما بينه الرسول ﷺ فيما رواه ابن مسعود : ليرجع قائمكم، ولوقظ نائمكم» وقد وضحت العبارة التالية فى نفس الرواية عندما قال رسول الله ﷺ شارحاً وقت آذان بلال، وآذان ابن أم مكتوم «ليس أن يقول هكذا وهكذا وصوب يده ورفعها، حتى يقول هكذا وفرج بين اصبعيه» «وقد كان المسلمون يعلمون أن ضوءاً يظهر عمودياً فى الأفق يسمونه ذنب السرحان يظهر ثم يعقبه ظلام (وهذا الضوء هو ما عرف بالفجر الكاذب) ، ثم يظهر بعد قليل ضوء مستعرض فى الأفق ينتشر شيئاً فشيئاً (وهذا هو الفجر الصادق) وقد حدد الرسول بإشارته أن المراد هو الفجر الصادق الذى يظهر معه الضوء المستعرض وليس العمودى فلا يغتروا ببياض الأفق الرأسى - وهو ما أشار إليه الرسول ﷺ بيده من أعلى إلى أسفل يرسم عموداً رأسياً، وعليهم الاعتماد فى بدء الصوم على الضوء المستعرض وأشار بأصابع يديه نحو اليمين والشمال يرسم خطاً أفقياً ممتداً منتشراً»[٦٢] وكان بلال رضى الله عنه يؤذن عند الضوء العمودى، بينما كان ابن أم مكتوم يؤذن عند الضوء المستعرض وهو الفجر الصادق الذى تحين فيه الصلاة ، ويبدأ منه الصوم .

ج٣.

(٦١) فى الوقت الحاضر يحل مدفع الإمساك محل الأذان الأول (أذان بلال) أما آذان الصلاة الذى يكون بعد حوالى ثلث ساعة تقريباً فيحل محل (آذان ابن أم مكتوم) وهو الذى يبدأ منه الإمساك الكامل - أما مدفع الإمساك فهو تنبيه للاستعداد بالإسراع للإنتهاء من سائر الشهوات المباحة ليلاً والمحرمة نهاراً بسبب الصيام .

(٦٢) انظر : فتح المنعم شرح صحيح المسلم - فضيلة الدكتور/ موسى شاهين لاشين ص٤٢٧ ج٧

ويذكر النووى أن فى آذان بلال دليلاً على جواز الأذان للصبح قبل طلوع الفجر، وفيه دليل لجواز الأكل بعد نية الصوم ولا تفسد النية بالأكل بعدها لأن النبى أباح الأكل والشرب إلى طلوع الفجر ومعلوم أن النية لا تجوز بعد طلوع الفجر فدل هذا على أنها سابقة وأن الأكل بعدها لا يضير .

وينقل عن العلماء قولهم : إن بلالاً كان يؤذن قبل الفجر ويتربص بعد أذانه للدعاء ونحوه ثم يرقب الفجر، فإذا قارب طلوعه نزل فأخبر ابن أم مكتوم فيتأهب ابن أم مكتوم بالطهارة ثم يرقى ويشرع فى الآذان مع أول طلوع الفجر»[٦٣] .

فلم يكن نزول بلال ورقى ابن أم مكتوم رضى الله عنهما على الفور والتوالى مما يدل على أن المدة بين الآذانين كانت كافية للاستعداد الكامل لبدء الصوم والشروع فى العبادة .

❊ ❊ ❊

ص١ طبعة الفجر الجديد .

المبحث الرابع
حكم من طلع عليه الفجر وهو جنب
﴿أحل ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾

عندما فرض الله الصيام على عباده ، كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، فكانت الإباحة وقت اليقظة من الليل وتنقضى الإباحة بالنوم ، إلا أن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل وهو صائم حتى أمسى فجاء إلى أهله وصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائماً ، فرآه رسول الله ﷺ وقد جهد جهداً شديداً فقال «ما لى أراك وقد جهدت جهداً شديداً» ؟ قال : يا رسول الله إنى عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسى فأصبحت حين أصبحت صائماً ، قال ، وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام فأتى النبى فذكر له ذلك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ... إلى قوله ثم أتموا الصيام إلى الليل..﴾(٦٤) وفيها أباح الله جماع النساء فى ليل رمضان بجانب الأكل والشرب ، وقد بين الله سبب الإحلال بقوله : ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ فقد قيل : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على الآخر فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه ، وقيل : (لباس) أى ستر عن الحرام (داخل لكم) أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم فى مباشرتهن أى ليلاً»(٦٥) ومن تعليلات هذه الإباحة أيضاً والترخيص بها قوله تعالى ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم﴾ فذلك جاء بعد وقوع الاختيان ليدلنا على رحمة الله فى أنه قدر ظروف

---

(٦٤) انظر تفسير ابن كثير ج١ .
(٦٥) انظر تفسير النسفى ج١ .

الإنسان ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم...﴾ والرفث هو الاستمتاع بالمرأة سواء أكان مقدمات أو جماعاً . . فقوله : ﴿تختانون أنفسكم﴾ كانت مسألة حتمية طبيعية ، ولذلك قال بعدها : ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم﴾ لأنه ما دام قد جعل هذه العملية لحكمة إبراز سمو التشريع فى التخفيف فيكون القصد أن تقع هنا وأن يكون العفو منه سبحانه(٦٦) .

إذاً قد وضح لنا الآن أن جماع النساء مباح ليلاً بلا حرج وهذه رخصة من الله للتخفيف على عباده ورحمة بهم فى تشريعه فللمسلم أن يجامع زوجته ويستمتع بها فى أى جزء من الليل ، ولكن إذا جامع فى آخر الليل ، أو فى أوله وأخر الإغتسال ، فطلع عليه الفجر وهو لا يزال جنباً فبدأ الصوم وهو كذلك ، فيا ترى هل يصح صومه ، أو يفسد ؟

تطالعنا السنة النبوية بأن رسول الله ﷺ كان يصبح جنباً ثم يصوم .

أ - فروى عن السيدة عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : «كان رسول الله ﷺ يدركه الفجر فى رمضان وهو جنب من غير حلم فيغتسل ويصوم»(٦٧) وقولها : (من غير حلم) فيه دلالة على أن الجنابة بسبب الاحتلام لا تفسد الصوم، حتى ولو كان ذلك نهاراً .

وقد زادت رواية أم سلمة الموضوع أيضاً إيضاحاً عندما سئلت عن الرجل يصبح جنباً أيصوم ؟ فقالت : «كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من جماع لا من حلم ثم لا يفطر ولا يقضى»(٦٨) .

ب - وفى رواية سلمان بن يسار عن أم سلمة : «كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من غير احتلام ثم يصوم»(٦٩) .

---

(٦٦) انظر تفسير الشعراوى ج٢ ص٨٠٥ .

(٦٧) رواه مسلم عن عائشة - كتاب الصوم - باب صحة صيام من طلع عليه الفجر وهو جنب - ج٣ ص١٦٦ .

(٦٨) رواه مسلم - الصوم - باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب - ج٣ ص١٦٧ .

(٦٩) المرجع السابق نفس الباب والكتاب والصفحة .

جـ - وفى رواية البخارى : «إن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»(٧٠) .

فالروايات متضافرة على أن الصائم إذا أصبح جنباً بسبب جماع زوجته وطلع عليه الفجر وهو كذلك صح صومه ، وهناك شرط يجب التنبيه عليه وهو أن ينتهى من عملية الجماع ذاتها قبل الفجر ، وإلا لزمه القضاء والكفارة .

ورسول الله ﷺ عندما فعل ذلك كان لبيان الجواز وإيضاح الحكم .

وينقل ابن حجر عن القرطبى قوله : وفى هذا فائدتان : إحداهما أنه كان يجامع فى رمضان ويؤخر الغسل إلى بعد طلوع الفجر للجواز ، والثانية : أن ذلك كان من جماع لا من احتلام لأنه كان لا يحتلم ، إذا الإحتلام من الشيطان وهو معصوم منه .

وقال فى غيره : (من غير احتلام) إشارة إلى جواز الاحتلام عليه ، وإلا لما كان للاستثناء معنى ، ورد بأن الإحتلام من الشيطان وهو معصوم منه ، وأجيب - أى عن الرد - بأن الاحتلام يطلق على الانزال وقد وقع الانزال بغير رؤية شئ فى المنام»(٧١) .

فقد أوضحت السنة الحكم الذى قرره القرآن وهو إباحة الاستمتاع بالنساء فى ليل رمضان بشرط الانتهاء من ذلك قبل الفجر الصادق ، وإذا تأخر الاغتسال إلى ما بعد الفجر فإنه لا يضر الصيام - وهذا من تيسير الله لعباده ورحمته بهم(٧٢) .

---

(٧٠) رواه البخارى عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما - كتاب الصيام باب الصائم يصبح جنباً - ج٣ ص٣٨ ط الشعب .

(٧١) انظر فتح البارى على صحيح البخارى - ابن حجر العسقلانى ج٨ ص٢٨٥ ، وانظر النووى على مسلم ج٣ ص١٦٥ .

(٧٢) يعتقد بعض العوام أن الزفاف فى رمضان حرام ، لأنه شهر بعد عن الشهوات فيحرمون «الدخلة» بل ويغالون فى التحريم حيث يحرمون مجرد عقد القران فى رمضان - والحق أنه مباح وجائز كسائر الأيام ، والدخول بالزوجات لا شئ فيه إذا تم ذلك ليلاً ، وقبل الفجر على التفصيل السابق فى حكم من أصبح جنباً فى نهار رمضان أما الإفطار من أجل الزواج والتمتع نهاراً فغير جائز وفيه الكفارة مع القضاء .

المبحث الخامس
حكم المريض والمسافر ومن فى حكمهما
﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾

عندما أنزل الله تعالى قوله : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ لينسخ مراحل التشريع فى الآيات السابقة . وكان ذلك إيجاباً حتماً على من شهد استهلال الشهر بأن كان مقيماً فى البلد حين دخل الشهر وهو صحيح البدن بأن يصوم لا محالة . ولما حتم الصيام أعاد ذكر الرخصة للمريض والمسافر فى الإفطار بشرط القضاء فقال : ﴿ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ ويقول النسفى فى سبب إعادة ﴿ومن كان مريضا أو على سفر ..﴾ لما كان مذكوراً مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء الحكم»[٧٣] والمعنى أن المريض والمسافر ومن فى حكمهما من ذوى الأعذار يباح لهم الفطر وعليهم القضاء عدد ما أفطروه من أيام أخر غير رمضان، وقد شهدت بذلك السنة النبوية ، فمن ذلك :

أ – عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سافر رسول الله ﷺ فى رمضان فصام حى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فيه شراب فشربه نهاراً ليراه الناس، ثم أفطر حتى دخل مكة، قال ابن عباس رضى الله عنهما فصام رسول الله وأفطر، فمن شاء صام ومن شاء أفطر»[٧٤] .

ويعلق النووى على الحديث : فيه دلالة لمذهب الجمهور فى جواز الصوم والفطر فى السفر[٧٥] .

(٧٣) انظر تفسير النسفى ج١ وابن كثير ج١ .

(٧٤) رواه مسلم عن ابن عباس – كتاب الصوم – باب جواز الفطر فى شهر رمضان للمسافر ج٣ ص١٧٤ .

(٧٥) انظر النووى على مسلم ج٣ .

ب - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ فى سفر فرأى رجلاً قد اجتمع عليه الناس وقد ظلل عليه ، فقال ماله ؟ قالوا رجل صائم، فقال رسول الله ﷺ : «ليس البر أن تصوموا فى السفر»(٧٦) يقول النووى : قيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال : أولئك العصاة، أولئك العصاة هكذا هو مكرر مرتين، وهذا محمول على من تضرر بالصوم أو أنهم أمروا بالفطر أمراً جازماً لمصلحة بيان جوازه فخالفوا الواجب، وعلى التقديرين : لا يكون الصائم فى السفر عاصياً إذا لم يتضرر به، ويؤيد التأويل الأول قوله فى الرواية الثانية : «إن الناس قد شق عليهم الصيام»(٧٧) ويفهم من هذا التعليق إن الصائم المسافر إذا تضرر بالصوم فى السفر كان عاصياً، وإلا فلا شئ عليه .

جـ - عن عمر بن أمية الضمرى قال : قدمت على رسول الله ﷺ من سفر، فقال : انتظر الفداء يا أبا أمية ، فقلت : إنى صائم فقال : ادن منى حتى أخبرك عن المسافر ، إن الله عز وجل وضع عنه الصيام ، ونصف الصلاة»(٧٨) وروى الترمذى نفس الحديث وزاد فيه : « . . . وعن الحامل أو المرضع الصوم أو الصيام»(٧٩) ، وقال عبد الرحمن عوف : الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر(٨٠) .

ومن مجموع هذه الأحاديث بجانب القرآن فى حكم صوم المريض والمسافر نصل إلى أن هناك أعذاراً تبيح الفطر فى رمضان وهذا من رحمة الله بعباده ورأفته فى التشريع لهم وقد بين الله ذلك عندما قال سبحانه : ﴿يريد

(٧٦) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله - كتاب الصوم - باب جواز الصوم والفطر فى شهر رمضان للمسافر ج٣ .

(٧٧) انظر النووى ج٣ ص١٧٤ .

(٧٨) رواه النسائى عن عمر بن أمية الضمرى - كتاب الصوم - باب وضع الصوم عن المسافر - ج٤ ص١٧٩ .

(٧٩) رواه الترمذى عن أنس بن مالك - كتاب الصوم - باب ما جاء فى الرخصة والإفطار للحبلى والمرضع ج٣ ص٨٥ .

(٨٠) النسائى - الصوم - باب وضع الصوم عن المسافر .

الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ حيث رخص لذوى الأعذار بالفطر فى رمضان على أن يقضوا ذلك من أيام أخر . . . وفيما يلى وقفة لبيان ذلك :

الأعذار المبيحة للفطر وأقوال العلماء فيها :

١ - المرض : وذلك إذا خاف المريض زيادة الضرر أو تأخر البرء أو حصول مشقة وتعب بسبب الصيام - حيث يرى الحنابلة سنية الفطر وكراهية الصيام .

ويقول القرطبى عند تفسيره «ومن كان مريضا . . » للمريض حالتان :

احداهما : ألا يطيق الصوم بحال ، فعليه الفطر واجباً .

والثانية : أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة فهذا يستحب له الفطر ولا يصوم إلا جاهل»[٨١] .

٢ - حكم الحامل والمرضع : إذا خافتا الضرر على أنفسهما وولدهما ، أو على أنفسهما فقط أو ولدهما فقط ، فالحكم عند خوف الضرر عموماً جواز الفطر وعليهما القضاء فقط عند المالكية ، والأحناف ، ويرى الشافعية والحنابلة أنهما إن خافتا على ولدهما فقط وجب عليهما القضاء والفدية[٨٢] ، وتشهد روايات الحديث لما ذهب إليه المالكية والأحناف .

٣ - كبر السن : والمقصود هنا الشيخ الهرم الفانى الذى لا يستطيع الصيام فى كل فصول السنة يفطر وعليه عن كل يوم فدية طعام مسكين ، ويلحق به المريض الذى لا يرجى برؤه ولا أمل فى شفائه ، فلا قضاء عليهما لعدم القدرة - ويرى الحنابلة أن المريض الذى لا يرجى برؤه تجب عليه الفدية وإن أخرجها فلا قضاء عليه ، حتى ولو شفى وأصبح قادراً على الصوم بعد ذلك أما من عجز عن الصوم فى رمضان ولكن يقدر على قضائه فى وقت آخر فإنه يجب عليه القضاء فى ذلك الوقت ولا فدية عليه[٨٣] .

---

(٨١) انظر تفسير القرطبى ج٢ ص٦٥٢ .

(٨٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة - بتصرف شديد - والفدية هى إطعام مسكين عن كل يوم من أيام القضاء - مقداراً من الطعام يعادل ما يعطى لأحد مساكين الكفارة .

(٨٣) انظر المرجع السابق .

كما يرخص فى الفطر لأصحاب الأعمال الشاقة الذين لهم متسع غير هذه الأعمال إذا كان الصوم يجهدهم ويشق عليهم فى جميع فصول السنة وعليهم اطعام مسكين عن كل يوم افطر .

٤ - الجنون : إذا طرأ الجنون على الصائم ولو لحظة لم يجب عليه الصوم، وإذا وقع لا يصح منه ، ولكن هل يجب القضاء إذا كان الفطر بسبب الجنون؟ وللفقهاء فى ذلك آراء موجزها : يرى الشافعية أنه إذا كان متعدياً بجنونه بأن تناول فى الليل شيئاً أزال عقله فعليه قضاء ما جن فيه من الأيام، ويرى الحنابلة أن الجنون إذا استغرق جميع النهار فليس عليه قضاء أياً كان سبب الجنون ، ويقول الأحناف : إن استغرق جنونه جميع الشهر فلا قضاء عليه وإلا فلا[٨٤] ، وتشهد الروايات للرأيين الأخيرين حيث روى أن رسول الله ﷺ قال : « . . . رفع القلم عن المجنون حتى يفيق . . »[٨٥] .

٥ - السفر : فإن الصائم إذا كان مسافراً فإنه رخص له بالإفطار وتخفيفاً عنه وتيسيراً عليه لقول الله تعالى : ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ فالسفر الذى يبيح قصر الصلاة المبدوء قبل طلوع الفجر (أى ليلاً) يبيح الفطر للصائم ، فإن كان السفر لا يبيح القصر لم يجز معه الفطر .

ويرى الحنابلة أن الصائم إذا سافر من بلده أثناء النهار سفراً مباحاً (ليس فى معصية) يبيح القصر جاز له الإفطار، ويرى الأحناف والمالكية أنه إذا بيت نية الصيام فى السفر فأصبح صائماً فيه ثم أفطر لزمه القضاء والكفارة عند المالكية ، والقضاء فقط عند الأحناف وفى أفضلية الصوم فى السفر يرى المالكية أنه يندب للمسافر الصوم ولو تضرر بمشقة، بينما يرى الحنابلة أنه يسن للمسافر الفطر ويكره له الصوم ولو لم يجد مشقة لقول النبى ﷺ : «ليس من البر الصوم فى السفر» . . فمعيار الفطر للمسافر هو حصول المشقة

(٨٤) فموجز الآراء أن المجنون يجب عليه القضاء إن كان متعدياً بجنونه تغليظاً عليه وتشديداً، أما إذا لم يكن متعدياً بجنونه واستغرق الجنون كل اليوم أو كل الشهر فلا قضاء عليه لرفع التكليف عنه حال جنونه .

(٨٥) من حديث رواه ابن ماجة - طلاق المعتوه والصغير والنائم ج١ ص٦٥٨ .

من عدمها - وقد سبق ذكر روايات الحديث التى تبين جواز الصوم والفطر للمسافر حسب ما يعتريه من مشقة ونصب ، لأن الغاية هى التيسير على العباد فى التشريع حيث يقول الله تعالى ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ فهذه جملة شارحة ومبينة لسبب رخصة الفطر للمريض والمسافر .

ويعلق ابن كثير على شروط الفقهاء لإفطار المسافر فى قولهم : من كان مقيماً فى أول الشهر ثم سافر فلا يباح له الإفطار لقول الله تعالى ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فالإفطار لمن استهل الشهر وهو مسافر . . » يعلق قائلاً : «وهذا - أى القول السابق - غريب مردود عليه بفعل النبى ﷺ عندما خرج لغزوة الفتح[٨٦] فأفطر وأمر الناس بالفطر» . . وإذا كان البعض يرى أن الإفطار فى السفر واجب فإن الصواب رأى الجمهور ، إذ الأمر مبنى على التخيير ولأن من الصحابة من صام ومنهم من أفطر ولم يعب أى منهم على الآخر ، ولما سئل النبى عن الصوم فى السفر قال : «من أفطر فحسن ، ومن صام فلا جناح عليه»[٨٧] وفى رواية : «عليكم برخصة الله التى رخص لكم»[٨٨] . وهذا هو الراجح الذى عليه الجمهور .

وإن كان الشخص دائم السفر كمن يعمل سائق سيارة أو قطار أو نحوهما من وسائل المواصلات ، فإن البعض يرى أنه يجوز له الإفطار إذا لحقه مشقة وتعب يخشى معه تلف عضو من أعضائه أو حصول مرض من الأمراض . . على أن يقضى عند إقامته ، يقول د / الزحيلى : «فإن كان مديماً له - للسفر - كسائقى السيارات حرم عليه الفطر إلا إذا لحقه بالصوم مشقة كالمشقة التى تبيح التيمم وهى الخوف على نفس أو منفعة عضو من التلف أو الخوف من طول مدة المرض إلى آخره . .»[٨٩] والمعيار فى ذلك هو حصول المشقة من عدمها كما ذكرنا قبل .

(٨٦) غزوة الفتح كانت عام ٨ هجرية وتحرك النبى -ﷺ- لها فى ٨ رمضان .

(٨٧) حديث مسلم عن ابن كثير - الصيام - جواز الصيام والفطر فى شهر رمضان للمسافر ج٣ ص١٧٦ .

(٨٨) رواه مسلم عن حمزة بن عمرو الأسلمى - الصيام - باب جواز الصيام والفطر فى شهر رمضان للمسافر ج٣ ص١٨٠ .

(٨٩) انظر الفقه الإسلامى وأدلته - د/ وهبة الزحيلى ص٦٤٢ .

٦ - الحيض والنفاس : فلو حصل ذلك وجب بهما الفطر وحرم الصيام، ولو صامت الحائض أو النفساء فصومهما باطل باتفاق جميع المذاهب .

الحكم إذا زال السبب المبيح للفطر : إذا زال السبب المبيح للفطر أثناء النهار كأن طهرت الحائض ، أو أقام المسافر أو أفاق المجنون وجب الإمساك بقية اليوم إحتراماً للشهر ، وقد رأى المالكية أنه لا يستحب الإمساك إلا إذا كان العذر بالإكراه ، ورأى الشافعية أن الإمساك غير واجب ولكنه مسنون . . فإذا لم يمسك فلا شئ عليه .

هل يجب التتابع عند القضاء ؟ بمعنى صيام أيام القضاء متتالية ، وينقل ابن كثير فى تفسيره للآية قولين للعلماء ، أولهما : أنه يجب التتابع لأن القضاء يحكى (يشبه) الأداء ، ثانيهما : أنه لا يجب التتابع بل إن شاء فرق وإن شاء تابع وهذا رأى الجمهور والسلف والخلف»[٩٠] .

وبعد أن يعرض ابن رشد المسألة يضيف سبب اختلاف الفقهاء فيها فيقول : «وسبب اختلافهم تعارض ظواهر اللفظ والقياس وذلك أن القياس يقتضى أن يكون الأداء على صفة القضاء أصل ذلك الصلاة والحج[٩١] ، أما ظاهر قوله تعالى فعدة من أياك أخر فإنما يقتضى ايجاب العدد فقط لا إيجاب التتابع»[٩٢] .

فاتجاه الفقهاء أنه لا يجب التتابع فى القضاء ويجوز التفريق حسب قدرة من يقوم بالقضاء ، وهذا تخفيف من الله عن عباده رحمة بهم ودفعاً للمشقة عنهم .

* * *

(٩٠) انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٢١٧ .

(٩١) إيضاح ذلك أن الصلاة أو الحج إذا فاتا وأراد الإنسان قضاءهما بعد فإنه يقضيهما على صورتهما فى الأداء بنفس الأركان والسنن دون تغيير أو تحوير - كذلك ينبغى أن يكون قضاء الصيام قياساً على قضائهما .

(٩٢) انظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ابن رشد - ج١ ص٣٦٧ ط دار الكتب الحديثة بدون .

المبحث السادس
مفسدات الصوم
(مفطرات الصائم)

مفسدات الصوم هى مفطرات الصائم ويجب عليه بها القضاء والكفارة أو القضاء فقط ، وقد اتفق الفقهاء على أغلبها ، وها نحن نذكرها بإيجاز ليكون الصائم على بينة من أمره ليحافظ على صيامه من الفساد والضياع .

أ - فالأمور التى تفسد الصيام وتوجب القضاء فقط موجزها فيما يلى :

١ - تناول غذاء أو دواء بعذر شرعى كالمرض أو السفر أو بسبب إكراه أو خطأ كمن كان يتمضمض ووصل الماء إلى جوفه، ورأى المالكية أن ذلك فى رمضان إذا لم تتوافر فيه شروط الكفارة ، ويكون أيضا فى صيام القضاء، والنذر والكفارة، كما يرون القضاء لمن أفطر عمداً فى صيام يوم التطوع مخالفين بذلك رأى باقى الفقهاء .

٢ - تناول شئ ليس بغذاء ولا فى معنى الغذاء ولا يقصد به التغذى ولا يميل الطبع إليه كأكل العجين غير المخلوط بشئ أو مادة غير غذائية كالورق والجلد ويرى الشافعية والحنابلة أن كل ما يصل إلى الجوف والرأس من منفذ طبيعى كالفم والأنف أو القبل والدبر مفطر ويوجب القضاء، سواء كان مغذياً أو غير مغذياً .

وعلى ذلك فإن الاكتحال عند الحنابلة إذا وصل إلى الحلق أفسد الصيام وأوجب القضاء لأن العين منفذ وإن لم يصل فلا إفساد للصوم .

٣ - الاستمناء أى إنزال المنى بغير جماع بيده أو بيد زوجته أو بقبلة أو مضاجعة - وهذه المباشرة بشهوة ، أما إذا كانت بغير شهوة بفكر ونظر فلا يفطر، ولا قضاء عليه ، وقد فصل المالكية فى الإنزال بالنظر والفكر فقالوا : إذا نظر وأدام النظر والفكر حتى أمنى وكان من عادته الإنزال عليه الكفارة، أما إذا نظر وأدام النظر ولم يكن من عادته ذلك فلا كفارة» .

٤ – تبين الغلط فى الأكل نهاراً : وذلك بأن شك فى غروب الشمس فأكل فعليه القضاء لأن الأصل بقاء النهار ، وإن أكل ظاناً أنه ليل لأن الله أمرنا بإتمام الصيام إلى الليل .

٥ – الاستقاءة : أى استدعاء القئ عمداً فقاء طعاماً أو بلغماً أو دماً فهو مفطر وعليه القضاء ، فإن غلبه القئ فلا قضاء عليه لأنه لم يفطر بهذا القئ الذى غلبه .

ب- وأما الأمور المفسدة للصيام وتوجب القضاء والكفارة فهى :

١ – تناول الغذاء وما فى معناه بدون عذر شرعى ، ورأى الشافعية خلاف ذلك حيث إن القضاء والكفارة لا يجبان إلا لمن جامع عامداً فى نهار رمضان .

٢ – قضاء شهوة الفرج كاملة بأن جامع زوجته جماعاً موجباً للغسل ، ويرى المالكية أن المنى والمذى إذا خرجا يقظة مع لذة معتادة بتقبيل أو مباشرة فيما دون الفرج فيجب القضاء والكفارة(٩٣) ولهم فى ذلك تفصيل موجزه : أنه إذا نظر وأدام النظر والفكر حتى أمنى وكان من عادته الإنزال عليه الكفارة ، أما إذا نظر وأدام الفكر ولم يكن من عادته الإنزال فلا كفارة عليه ، ويرى الحنابلة أن الكفارة تجب على المجامع زوجته أو غيرها فى نهار رمضان سواء أنزل أم لا ، مخطئاً كان أم جاهلاً عامداً أو ساهياً ، مختاراً أو مكرهاً ، لأن ظاهر المذهب أن المكره كالمختار ، والنائم كالمستيقظ ، ولأن النبى ﷺ لم

(٩٣) الكفارة هى : عتق رقبة مؤمنة ، أو إطعام ستين مسكيناً ، أو صيام ستين يوماً ، ولها شروط : أن يكون الفطر فى رمضان ، وأن يكون عمداً ، وأن يكون اختياراً ، أن يكون عالماً بحرمة الفطر ، أن ينتهك حرمة شهر رمضان غير مبال بها ، وأن يكون الواصل من الفم فلا كفارة إذا وصل شئ من غيره ، وأن يصل إلى المعدة فإن وصل إلى الحلق فلا شئ ، وأضاف الشافعية أن يكون الفطر بالجماع وحده ، وإن حدوث السفر أو المرض بعد الجماع لا يسقط الكفارة خلافاً للحنفية الذين يشترطون عدم طريان ما يبيح الفطر من مرض أو سفر ، واشترطوا أيضاً أن يكون مبيتاً للنية فى أداء رمضان فلا كفارة عليه .

يستفصل الإعرابى ، ولو اختلف الحكم فى ذلك لاستفصله لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز(٩٤) .

والأصل فى وجوب الكفارة بالجماع فى نهار رمضان السنة ، ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبى هريرة : «أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ ، فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : وما أهلكك؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان ، قال هل تجد ما تعتق به رقبة؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم به ستين مسكيناً ، قال : لا ، قال : ثم جلس فأتى النبى بعرق فيه تمر فقال تصدق بهذا ، قال : أفقر منا فما بين لابيتيها أهل بيت أحوج إليه منا ، فضحك النبى › حتى بدت أنيابه ثم قال : اذهب فاطعمه أهلك»(٩٥) فالحديث يفيد ظاهرة عجز المجامع عن كل خصال الكفارة وينقل النووى رأيين عن الشافعى فى ذلك : أولهما : أنه لا شئ عليه حتى وإن استطاع بعد ذلك ، محتجاً لهذا الرأى بهذا الحديث بأنه ظاهر أنه لم يستقر فى ذمة المجامع شئ لأنه أخبر رسول الله ﷺ بعجزه ولم يقل له الرسول ﷺ إن الكفارة ثابتة فى ذمته بل أذن له فى اطعام عياله ، وثانيهما : أن الكفارة لا تسقط بل تستقر فى ذمته حتى يمكن قياساً على سائر الحقوق والديون ، وأما الحديث فليس فيه نفى استقرار الكفارة بل فيه دليل لاستقرارها لأنه أخبر النبى › فى الكفارة بأنه عاجز عن الخصال الثلاث ثم أتى النبى بعرق التمر فأمره بإخراجه فلو كانت تسقط بالعجز لم يكن عليه شئ ولم يأمره بإخراجه ، فدل على ثبوتها فى ذمته وإنما أذن له فى اطعام عياله لأنه كان محتاجاً ومضطراً إلى الانفاق على عياله فى الحال ، والكفارة على التراخى فأذن له فى اطعام عياله وبقيت الكفارة فى

(٩٤) وإن تكرر الجماع فى يومين أو ثلاثاً . . تكررت الكفارة ، وإن تكرر الجماع فى يوم واحد فإنها لا تتكرر وفيه كفارة واحدة لأن كل يوم عبادته مستقلة .

(٩٥) رواه مسلم عن أبى هريرة - الصوم - باب تغليظ تحريم الجماع فى نهار رمضان ووجوب الكفارة فيه ج٣ ص١٦٩ ، والبخارى باب إذا جامع فى رمضان ولم يكن له شئ فتصدق عليه فليكفر ج٣ ص٤١ .

ذمته »-ويعلق النووى على الرأى الثانى بقوله : وهو الصحيح عند أصحابنا وهو المختار»[٩٦] .

هل تجب الكفارة على الترتيب أو على التخيير؟ :

بمعنى : هل للمجامع أن يختار من خصالها ما يشاء ويفعله ، أو أنه لا ينتقل من خصلة إلا إذا لم يتمكن من غيرها وعجز عنها ؟ فظاهر حديث المجامع الذى سأل رسول الله ﷺ أن الرسول بدأ معه بأول خصلة وهى عتق الرقبة ، فلما لم يجد ما يعتق به رقبة انتقل به إلى الثانية وهى صوم شهرين متتابعين ، فلما لم يستطع انتقل به إلى الثالثة وهى إطعام ستين مسكيناً ، فهى واجبة على الترتيب المذكور ، وما جاء فى حديث المجامع من إجزاء صرف الكفارة لأهل المكفر وفيهم من تجب عليهم نفقته فهى خصوصية لذلك الرجل لأن المفروض فى الكفارة انما هو اطعام ستين مسكيناً لغير أهله بحيث يعطى كل واحد منهم مقداراً مخصوصاً حسب تفصيلات المذاهب فى المسألة[٩٧] .

أمور لا تفسد الصوم :

هناك بعض الأمور يصعب الاحتراز عنها ويشق على الصائم وقاية نفسه منها لعدم تحكمه فيها ، ولذا فقد رأى العلماء أن بعضها لا يفسد الصوم مع عدم كراهتها ، والبعض الآخر منها لا يفسده لكن مع كراهة إتيانها ، وفيما يلى إيجاز لها :

١ - وصول شئ إلى الجوف نسياناً أو إكراهاً ، لقول الرسول ﷺ : «إذا نسى فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»[٩٨] ويقول ابن حجر : «فإنما أطعمه الله وسقاه» مما يستدل به على صحة الصوم لإشعاره بأن الفعل الصادر منه مسلوب الإضافة إليه فلو أفطر لأضيف الحكم إليه»[٩٩]

(٩٦) انظر النووى على مسلم ج٣ ص١٦٩ ط الشعب .

(٩٧) الفقه على المذاهب الأربعة - ص ٥٤١ ط وزارة الأوقاف - المطابع الأميرية ط سادسة ١٩٦٧ .

(٩٨) رواه البخارى عن أبى هريرة - الصوم - باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً ص٤٠ .

(٩٩) انظر فتح البارى ج٨ ص٢٠٠ .

ويعلق النووى على نفس الرواية قائلاً : «فيه دلالة لمذهب الأكثرين أن الصائم إذا أكل أو شرب أو جامع ناسياً لا يفطر، وممن قال بهذا -أى بعدم فطر من جامع ناسياً الشافعى وأبو حنيفة وداود وآخرون- وقال ربيعة ومالك يفسد صومه وعليه القضاء دون الكفارة»(١٠٠) فالاتفاق بين العلماء على أن من أكل ناسياً أو شرب لا يفسد صومه قائم ، أما الخلاف ففى من جامع ناسياً .

٢ - وصول بقايا الطعام بين الأسنان إلى الجوف بشرط العجز عن مجه، فإن قدر على مجه وتفله خارجاً ولم يفعل فسد صومه .

٣ - النخامة، التى لم تخرج إلى الفم ، فإن خرجت وابتلعها فسد صومه، وإن عجز عن ذلك لا يفسد صومه .

٤ - ما لا يستطيع التحرز منه كغبار الطريق والأتربة، وغربلة الدقيق، وكذا الذباب والبعوض فهذه الأشياء وما على شاكلتها لا يفسد بها الصوم، لوجود المشقة والصعوبة فى الاحتراز عنها .

ويرى العلماء جواز بعض الأمور فى الصوم منها :

١ - دهن الشارب بأى دهان لأنه ليس فيه شئ ينافى الصوم .

٢ - مضغ اللبان الذى لا يصل منه شئ إلى الجوف .

٣ - الاكتحال : حتى ولو وجد أثره فى حلقه .

٤ - الحجامة(١٠١) إذا كانت لا تضعفه عن الصوم، إلا فهى مكروهة .

٥ - السواك طوال النهار فإنه سنة ، ويرى الشافعية كراهته بعد الزوال . إلا أن استعماله ولو بعد الزوال لا يفسد الصوم .

٦ - مضغ الطعام لحاجة، وذلك مثل السيدة التى تمضغ الطعام لتطعمه لابنها الصغير، بشرط مج ما تبقى منه خارج الفم، وإلا فإنه يفسد الصوم ويوجب القضاء .

---

(١٠٠) النووى على مسلم ج٣ ص٢١٢ .

(١٠١) الحجامة : هى امتصاص الدم بالمحجم وهى من أنواع العلاج .

٧ - المضمضة والاستنشاق ولو لغير الوضوء ، وكذا الاغتسال بغير موجب ، ويجوز أيضاً التبرد بالماء بلف ثوب مبلول على بدنه(١٠٢) .

٨ - تأخير الفطر عن الغروب ، لا يفسد الصوم ولكنه يكره لمخالفته الهدى النبوى فى تعجيل الفطر وتأخير السحور .

حكم القبلة للصائم :

رويت فى المسألة أحاديث عديدة منها :

أ - عن عائشة رضى الله عنه قالت : «كان رسول الله ﷺ يقبل إحدى نسائه وهو صائم ثم تضحك»(١٠٣) .

وفى رواية أخرى لمسلم أيضاً عنها : «كان رسول الله يقبلنى وهو صائم ، وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله يملك إربه» وفى رواية للبخارى : عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ يقبل ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه . . .»(١٠٤) ويذكر ابن حجر خلاف العلماء فى جواز القبلة للصائم من عدمه فيقول : كرهها قوم مطلقاً ، وهو مشهور عن المالكية ونقل عن ابن عمر أنه كان يكره القبلة والمباشرة .

وحرمها قوم : واحتجوا بقول الله تعالى : ﴿فالآن باشروهن﴾ فمنع من المباشرة فى الآية نهاراً ، ورد العلماء على أصحاب هذا الرأى بأن الرسول ﷺ هو المبين عن الله وقد أباح المباشرة نهاراً فدل هذا على أن المراد بالمباشرة فى الآية الجماع وليس ما دونه ، والزم ابن حزم أهل القياس أن يلحقوا الصيام بالحج فى منع المباشرة ومقدمات النكاح للاتفاق على ابطالهما بالجماع وأباحها جماعة : مطلقا ، وبالغ بعض أهل الظاهر فاستحسنها وفرق جماعة فى حكمها بين الشيخ والشاب ، فأباحها للشيخ وكرهها للشاب .

---

(١٠٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ص٥٢٩ .

(١٠٣) رواه مسلم - باب القبلة فى الصوم ليست محرمة على من لم يحرك شهوته ج٣ ص١٥٩ .

(١٠٤) رواه البخارى عن الأسود عن عائشة - باب المباشرة للصائم - وقالت عائشة يحرم عليها فرجها ج٣ ص٣٨ .

كما فرق آخرون بين من يملك إربه (نفسه) كما أشارت السيدة عائشة ومن لا يملك نفسه ، وقال أهل العلم : إن الصائم إذا ملك نفسه يقبل وإلا فلا يسلم له صومه»(١٠٥) .

هذا وقد أجازها الحنفية مع الكراهة إذا لم يأمن ملك نفسه ، فإن أمن فلا كراهة ، ويرى المالكية أنه إذا لم يأمن نفسه فإنها حرام ووافقهم الشافعية والحنبلية .

فخلاصة القول فى ذلك أن القبلة للصائم تجوز بشرط أن يملك نفسه من التجاوز منها إلى غيرها من الجماع الكامل الموجب للقضاء والكفارة ، وما فعله النبى ﷺ لبيان الجواز فقط لمن فعلها وإن صومه لم يفسد بذلك ، وهذا من قبيل التيسير على العباد ورفع الحرج ورفع المشقة عنهم وذلك من تشريعات الصيام ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ومن موافقة تعاليم الدين للفطرة الانسانية النقية السليمة من الشوائب وغبش انحرافات البشر .

❊ ❊ ❊

(١٠٥) فتح البارى - ابن حجر العسقلانى - ج٨ ص٢٩٣ ، وانظر النووى ج٣ ص١٥٩ .

الفصل الثالث

آداب الصيام ومستحباته

* ما يستحب للصائم .
* صوم النفل .

المبحث الأول
ما يستحب للصائم

من أبواب الخير التى يسرها الله لعباده لينالوا الأجر ويفوزوا برضاه والجنة، والنعيم الدائم، والفوز العظيم أن جعل أموراً مستحبة فى الصيام، إذا أتاها الصائم نال هذه الدرجات وارتقى إليها ونال ثواب الله ورضاه فى الدنيا والآخرة، ومن هذه المستحبات :

١ - تعجيل الفطر:

بعد المغرب وقبل الصلاة ويكون على رطب فتمر فحلو وأن يكون وتراً، وذلك لفعل الرسول ﷺ حيث روى عنه أنه : «كان يفطر على رطبات قبل أن يصلى، فإن لم تكن رطبات فتمرات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من الماء»(١٠٦) .

ولعل السر فى أن يكون الإفطار على حلو هو سرعة تعويض الكبد ما فقده من السكر، ولقول النبى : «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»(١٠٧) .

٢ - الحرص على السحور وتأخيره:

لأنه يتقوى به على الصيام، لقول الرسول ﷺ : «تسحروا فإن فى السحور بركة»(١٠٨) وروى فى تأخيره عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة، قلت : كم كان قدر ما بينهما قال : خمسين آية»(١٠٩) ويعلق النووى على الحديث قائلاً: «أما

(١٠٦) رواه أبو داود - الصوم - باب ما يفطر عليه ج٢ ص٣٠٦ .

(١٠٧) رواه مسلم عن سهل بن سعد - كتاب الصيام - باب تأخير السحور وتعجيل الفطر ج٣ ص٣٧ .

(١٠٨) رواه مسلم - كتاب الصيام، والنسائى - الصيام - الحث على السحور ج٤ ص١٤٠ .

(١٠٩) رواه مسلم - الصيام، باب تأخير السحور وتعجيل الفطر ج٣ ط الشعب .

البركة فى السحور فظاهره لأنه يقوى على الصيام وينشط له ويحصل بسببه الرغبة فى الازدياد من الصيام لخفة المشقة فيه على المتسحر، وقيل : لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء فى ذلك الوقت الشريف وقت تنزل الرحمة وقبول الدعاء والاستغفار وربما توضأ صاحبه وصلى أو أدام الاستيقاظ للذكر والدعاء والصلاة أو التأهب لها حتى تطلع الفجر، وقوله : «قال : خمسين آية» أى بينهما قدر قراءة خمسين آية وفيه الحث على تأخير السحور إلى قبيل الفجر»(١١٠) .

٣ - الدعاء وخاصة عقب الفطر:

فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه كان يدعو بعد فطره ويقول : «اللهم إنى لك صمت وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت ، وبك آمنت ، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى، يا واسع الفضل اغفر لى، الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فأفطرت»(١١١) وفى الحديث : «للصائم عند فطره دعوة لا ترد»(١١٢) ، وعموماً فإن الدعاء مخ العبادة وقد أمرنا الله تعالى به تكرماً منه ورحمة بعباده فقال تعالى : ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾(١١٣) فأمر سبحانه بالدعاء ووعد بالإجابة، وأشار إلى أن الدعاء هو العبادة، وفى سياق آيات الصيام فى سورة البقرة يقول تعالى : ﴿وإذا سألك عبادى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾(١١٤) وعن سر ذكر هذه الآية فى سياق الصيام يقول ابن كثير : وفى ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد فى الدعاء عند اكمال العدة، بل وعند كل فطر لما روى أن رسول الله ﷺ قال

(١١٠) انظر شرح النووى على مسلم ج٣ ص١٥٠ ، وانظر فتح البارى ج٨ ص٢٧٩ .
(١١١) رواه أبو داود - الصيام - باب القول عند الإفطار ج٢ ص٣٠٦ .
(١١٢) رواه ابن ماجه - الصيام - باب فى الصائم لا ترد دعوته ج١ ص٥٥٧ .
(١١٣) سورة غافر الآية ٦٠ .
(١١٤) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

: «للصائم عند افطاره دعوة مستجابة» وكان عبد الله بن عمر إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا»(١١٥) .

وروى أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : «أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت : أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب ووعد الداعى بالإجابة . . وإنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه»(١١٦) وينقل القرطبى فى تفسيره عن أهل العلم شروط الدعاء ومجملها : علم الداعى بأنه لا قادر على حاجته إلا الله وأن الوسائط فى قبضته ومسخرة بتسخيره، وحضور القلب وصدق النية، فإن الله لا يستجيب من قلب غافل أو لاه ، أن يأكل من الحلال ويتجنب الحرام ففى الحديث : «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب . . يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجب لذلك»؟(١١٧) وهذا استفهام على جهة الاستبعاد على قبول دعاء من هذه صفته والتضرع والخوف من الله لقوله تعالى : ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين . ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾(١١٨) ومن الشروط الجزم بالمسألة فلا يقل : اللهم اغفر إن شئت أو اللهم بارك لى إن شئت . . فيعرى دعاءه وسؤاله من لفظ المشيئة ويسأل سؤال من يعلم أنه لا يفعل إلا أن يشاء، وأيضاً فإن فى قوله : «إن شئت» نوعاً من الاستغناء عن مغفرته وعطائه ورحمته، كقول القائل : إن شئت أن تعطينى فافعل ولا يستعمل هذا إلا مع الغنى عنه، ويقول الرسول ﷺ : «إذا دعا أحدكم فليجزم المسألة يقولن

(١١٥) تفسير ابن كثير ج١ ط الحلبى .
(١١٦) انظر تفسير البيضاوى ج١ ص١٠٦ .
(١١٧) رواه مسلم كتاب الزكاة - باب اسم الصدقة يقع على كل معروف ج٣ ص٥١ ط الشعب .
(١١٨) سورة الأعراف الأيتان ٥٥ ، ٥٦ .

اللهم إن شئت فاعطنى فإنه لا مستكره له»(١١٩) ومن موانع قبول الدعاء: يجانب أكل الحرام، هو مباشرة فعل المنكرات، وترك المعروف واهمال طاعة الله، ويقول ﷺ: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث الله عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»(١٢٠) فانتشار المعاصى مانع من قبول الدعاء، وقيل لإبراهيم بن أدهم رضى الله عنه: «ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس»(١٢١).

ومن شروط المدعو به، أن يدعو بخير ولا يدعو بقطيعة رحم، وعلى سبيل الإجمال يجب أن يكون المدعو به من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعاً كما قال: «ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» فيدخل فى الإثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل فى الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم»(١٢٢).

فالدعاء من العبادات والقربات فى كل وقت وحين، وهو فى الصوم آكد وأولى لأن الصوم من الأحوال الشريفة التى يرجى فيها قبول الدعاء ويكون الإجابة تكرماً من الله ورحمة بعباده الداعين.

٤ - كف اللسان عن فضول الكلام:

فإن الصائم قد ترك الحلال من الطعام والشراب وجماع زوجته وهذا حلال مباح له فى غير نهار رمضان - تركه ابتغاء الأجر والثواب والرضا من

(١١٩) رواه مسلم عن أنس - كتاب الذكر والدعاء - باب العزم فى الدعاء ج٥ ص٥٣٦.

(١٢٠) رواه الترمذى - كتاب الفتن - باب ما جاء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ج٤ ص٤٦٨.

(١٢١) انظر القرطبى ج٤ ص١٨٨ ط الشعب.

(١٢٢) المرجع السابق.

الله فلا معنى أن يترك الحلال ثم يرتكب الحرام من القول والفعل فحفظ اللسان وسائر الأعضاء عن مباشرة الحرام من مستحبات الصيام التى يزيد به الأجر، وعلى العكس ربما يضيع أجر الصوم بفعل الحرام ومباشرة إيذاء الناس بالقول أو الفعل أو بهما معاً وفى حديث مسلم : « . . . والصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم . . »(١٢٣) .

ويروى البخارى عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»(١٢٤) .

ويعلق ابن حجر على الحديث قائلاً : قيل هو كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئاً طلبه منه فلم يقم به : لا حاجة لى بكذا فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وما ذكر معه ، وقال البيضاوى ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله نظر القبول إليه، فقوله : «ليس لله حاجة» مجاز عن عدم القبول . . واستدل بأن هذه الأفعال تنقص ثواب الصوم . . »(١٢٥) .

وهذا تقويم لسلوك الصائم ودعوته لإحسان معاملته مع الناس حتى لا يفسد صومه ويحبط عمله ويرد عيه ويحرم الأجر، ومن القول الحرام الكذب والغيبة والنميمة، وكل قبيح من القول أو الفعل فإن الرفث فى قوله «فلا يرفث» هو الكلام الفاحش، والسخب أو الجهل فى رواية «فلا يجهل» كل أفعال الجهل كالصياح والسفه - فإن الشارع الحكيم يريد من الصائم أن يكون رزيناً عاقلاً هادئاً سوى الوجدان والسلوك .

---

(١٢٣) الحديث بتمامه رواه مسلم عن أبى هريرة كتاب الصوم - فضل الصوم ج٣ ص٢٠٨ .

(١٢٤) رواه البخارى عن أبى هريرة - كتاب الصوم - باب من لم يدع قول الزور والعمل به فى الصوم ج٣ ص٣٣ .

(١٢٥) انظر فتح البارى - ابن حجر - ج٨ ص٢٥٣ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

٥ - الإكثار من الصدقات والإحسان إلى الفقراء وذوى الأرحام خاصة:

فإن البر بالأهل والأقارب بمساعدتهم بالصدقة عليهم ، وتعديهم بعد كفايتهم إلى سائر الفقراء والمعوزين فى المجتمع يؤدى ذلك إلى التقريب بين النفوس وتأليف القلوب وشيوع الحب وتأكد رابطة الإيمان والحب وتمنى الخير لكل خيِّر متصدق ، وقد كان رسول الله › يكثر من التصدق والإحسان فى رمضان أكثر من غيره ، فقد روى أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ›حين يلقاه أجود بالخير من الريح المرسلة»[١٢٦] ولما للصدقة من مكانة فإن الله شرع صدقة الفطر على القادرين وقوف بزكاة الفطر تأكيداً لمعنى التكافل بين الأمة[١٢٧] ، وحرصاً على انتشار السعادة بيوم عيد الفطر بين كل المسلمين .

٦ - الحرص على قيام ليلة القدر والفوز بفضلها:

وهى ليلة نزول القرآن التى اتصل بها نور السماء بالأرض ونزل كتاب الله بالحق فأشاع فى العالم الحب والسلام ، والود والوئام ، ودحض الباطل وقضى عليه فصنع أمة من خير الأمم التى أخرجت للناس ، فسادت العالم وحملت دين الله إلى كل بقاع الأرض ليسرى إلى القلوب ويهدى النفوس ويوحد الجهود وقد ميز الله به شهر رمضان ، حيث قال : ﴿**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾[١٢٨] وقد بدأ الله نزوله فى خير ليالى رمضان ليلة القدر فقال تعالى : ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما**

(١٢٦) رواه البخارى عن ابن عباس - الصوم - باب أجود ما كان النبى يكون فى رمضان ج٣ ص٣٣ .

(١٢٧) وهى صدقة شرعت فى شعبان عام ٢هـ طهرة للصائم ، وتجب بالفطر من رمضان وتجب على المسلم المالك قدر صاع من قمح أو شعير أو تمر أو زبيب . . مما يعتبر قوتاً يزكى عن نفسه وعمن تلزمه نفقتهم من المؤمنين وأجاز أبو حنيفة إخراج القيمة ووقت وجوبها غروب شمس آخر يوم من رمضان ويجوز تعجيلها عن وقت الوجوب ويعطى للأصناف الثمانية المذكورين فى الآية ٦٠ من سورة التوبة .

(١٢٨) سورة البقرة من الآية ١٨٥ .

أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر﴾(١٢٩) وقد وصف رسول الله ﷺ القرآن عندما قال : «إنها ستكون فتنة(١٣٠) قيل وما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل(١٣١) الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد﴾ من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»(١٣٢) فهو صلاح للإنسان فى دينه ودنياه وفوزه بالثواب الجزيل والأجر العظيم فى الآخرة، والحديث وصف لواقع القرآن فى إصلاح البشر فهو الهدى والذكر الذى أنزله الله لتحقيق السعادة لمن اتبعه والتزمه، وفى تركه واهماله الشقاء والبؤس والضلال قال تعالى : ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو، فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(١٣٣) فالهدى هو القرآن فقد وصفه الله بأنه ﴿هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾(١٣٤) وقوله : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾(١٣٥) وهو أيضاً الذكر - فقد قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(١٣٦) وقال سبحانه : ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له

---

(١٢٩) سورة القدر الآيات من ١ - ٣ .

(١٣٠) معنى الفتنة : بمعنى الاختبار والابتلاء ، كما أنها الاستهواء والإعجاب، وفتنة المرأة الوله بها، ويقال عن الشيطان فتان .

(١٣١) حبل الله هو القرآن .

(١٣٢) الحديث بتمامه روا الترمذى عن الحارث باب ما جاء فى فصل القرآن ج٥ ص١٧٢ .

(١٣٣) سورة طه الآيتان ١٣٣ ، ١٣٤ . (١٣٤) سورة البقرة من الآية ١٨٥ .

(١٣٥) سورة البقرة الآية ٢ .

(١٣٦) سورة الحجر الآية ٩ .

منكرون﴾(١٣٧) وقال : ﴿إنا الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز﴾(١٣٨) ولما كان للقرآن هذه المكانة فى الإصلاح والتوجيه وتقرير العقيدة، والعبادة، ووضع أسس وقواعد العلاقات البشرية المختلفة، وحتى يكون المسلم مرتبطاً بكتاب ربه ومصدر سعادته والتشريع له فقد كانت قراءة القرآن وتدبر آياته عبادة من أفضل العبادات وقد حثنا عليها رسول الله ﷺ فى العديد من التوجيهات فى هدية الشريف، فقال ﷺ : «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجه ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»(١٣٩) وأجر قارئ القرآن ثابت على كل حال فقد قال رسول الله ﷺ: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرؤه وهو شديد عليه، وهو عليه شاق فله أجران»(١٤٠) ولأن القرآن قد ينسى إذا أهمل وترك، فإن رسول الله ﷺ قد أمر بتعهده بالقراءة والحفظ فقد قال : «بئسما لأحدهم يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو قد نُسىَّ (بالبناء للمجهول)، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من الإبل بعقلها»(١٤١) ولقارئ القرآن بكل حرف عشر حسنات فقد قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول «ألم» حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف، وميم حرف»(١٤٢) فأى ثروة، وأى ربح ذلك الذى دعانا إليه رسول

(١٣٧) سورة الأنبياء الآية ٥٠ . (١٣٨) سورة فصلت الآية ٤١ .

(١٣٩) رواه مسلم عن أبى موسى الأشعرى - كتاب صلاة المسافرين - باب فضيلة حافظ القرآن ج٢ ص٥٤١ .

(١٤٠) رواه الترمذى عن عائشة - كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء فى فضل قارئ القرآن - ج٥ ص١٧١ طبعة الحلبى - وقال حسن صحيح .

(١٤١) رواه مسلم عن وائل بن عبد الله - صلاة المسافرين - باب فضل القرآن والأمر بتعهده ج٢ ص٤٤٤ .

(١٤٢) رواه الترمذى - باب من قرأ حرفاً من القرآن وقال حديث صحيح حسن غريب ج٥ .

الله ﷺ ؟! فإن بكل حرف عشر حسنات فكم من حروف القرآن يقرؤها المسلم فى جلسة إلى كتاب الله يرتل آياته ، ويتدبرها ويتعلم منها ويحفظها فيجعل الله قلبه وعاء للقرآن فينال رضا ويفوز بالعلا من درجات الجنة ، وبقدر ما يتيسر له يقرأ القرآن فى كل أيام العام ولياليه ، وبالأخص فى شهر القرآن ، شهر رمضان ، وإن كان تاركاً لكتاب الله لا يقرؤه فليعد إليه مستغلاً الجو الروحى المتميز فى أيام رمضان ولياليه ولا يتوقف عن ذلك ، فليجعل بداية توبته ورجوعه فى رمضان ولا يجعل نهايته نهاية للطاعة ، والتقرب إلى الله بقراءة القرآن ليكون قلبه منيراً وسلوكه مستقيماً على طاعة الله وشكره على نعمه .

وليلة نزول القرآن هى ليلة القدر ، تعم فيها البركات وتهبط الرحمات وتغفر الذنوب وتمحى السيئات رحمة من الله بعباده ، وإكراماً لمن أحيا هذه الليلة منهم ، وقد وصفها رب العزة بأنها خير من ألف شهر ، فقال تعالى : ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر﴾[١٤٣] كما وصفها بالبركة فقال : ﴿حم. والكتاب المبين . إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم﴾[١٤٤] وقد حث رسول الله ﷺ على قيامها والحرص على الفوز بفضلها واغتنامها فقال : «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[١٤٥] وعن وقتها يروى أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ رأوا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ : «أرى رؤياكم قد تواطأت (توافقت) فى السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر»[١٤٦] وفى رواية يقول : «تحروا ليلة القدر فإنها فى العشر الأواخر»[١٤٧] ، وفى رواية

(١٤٣) سورة القدر الآيات ٣ - ٥ . (١٤٤) سورة الدخان الآيات من ١ - ٤ .

(١٤٥) رواه مسلم - الصوم - فضل ليلة القدر والحث على طلبها - ج٨ ص٥٧ ط الريان .

(١٤٦) رواه البخارى عن الأعمش - الإيمان - باب قيام ليلة القدر من الإيمان ج١ ص١٥ ط الشعب .

(١٤٧) رواه مسلم - الصوم - فضل ليلة القدر والحث عليها ج٣ ص٢٣٥ عن ابن عمر .

أخرى قال : «وتحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[١٤٨] وهناك روايات كثيرة ساقها ابن كثير فى تفسيره تذكر أنها ليلة الحادى والعشرين ، وإنها ليلة الثالث والعشرين ، وقيل ليلة أربع وعشرين ، وأياً كان الأمر فإن الروايات تضافرت على أنها فى العشر الأواخر من رمضان سواء أكانت فى ليلة وتر أو ليلة شفع ، ومن حرص عليها فعليه بالاجتهاد فى العشر الأواخر جميعها ، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ فقد روى عنه ﷺ أنه كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله ، وأيقظ أهله وجد وشد المئزر»[١٤٩] فالمراد اجتهاده ﷺ فى العبادة .

وقد سألت السيدة عائشة رضى الله عنها رسول الله فقالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال : قولى : «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى»[١٥٠] والمراد مطلق الدعاء ، فيستحب الدعاء ، وقيام الليل وشغله بالذكر ، وقراءة القرآن ، والاستغفار من الذنوب والتوبة عنها والندم على فعلها ، والصلاة ، وكل عبادة مقبولة فى هذه الليلة إن شاء الله . وتتنزل الملائكة فيها ليسلموا على القائمين فى هذه الليلة المشتغلين بالذكر والاستغفار وقراءة القرآن ، يقول ابن كثير : يكثر نزول الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له ، وأما الروح فقيل المراد به هنا جبريل عليه السلام فيكون من عطف الخاص على العام»[١٥١] ومما قيل فى معنى «القدر» المضافة إلى الليلة : إن معناها الرفعة والمكانة أى ليلة القدر العالى والمكانة الرفيعة لنزول القرآن فيها ، وقيل : القدر بمعنى الضيق على حد قول الله تعالى : ﴿ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾[١٥٢] وسميت بذلك لأن الأرض

(١٤٨) رواه مسلم عن عائشة – الصوم – فضل ليلة القدر ج٣ ص٢٣٨ .

(١٤٩) رواه مسلم – الاعتكاف – باب الاجتهاد فى العشر الأواخر من رمضان ج٣ ص٢٤٤ .

(١٥٠) رواه الترمذى – كتاب الدعوات – باب ٨٥ جامع للدعوات ٣٥١٣ ج٥ ص٥٣٤ ط الحلبى .

(١٥١) تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٣١ . (١٥٢) سورة الطلاق آية ٧ .

تضيق بالملائكة الذين ينزلون بالرحمة فلا تتسع لهم، أو لأن علم البشر قد ضاق عنها فلم يستطع العلم البشرى أن يدرك كنهها والإحاطة بها .

وعلى أية حال فإنها ليلة بركة وعبادة واجتهاد فى العمل الصالح والذكر والاستغفار وسائر القربات إلى الله تغفر فيها الذنوب وتمحى السيئات ويتجلى الله فيها على عباده برحمته ورضوانه ومغفرته فلينتهزها المسلم ويحرص عليها ويغتنم ما فيها من فضل وكرم .

٧- صلاة التراويح :

وهى من السنن المقارنة لشهر رمضان وعلى المسلم أن يحرص عليها بقدر استطاعته ، يصلى منها ما يستطيعه ويقدر عليه ، فقد روى أن رسول الله ﷺ صلى فى المسجد ذات ليلة ، فصلى بصلاته ناس ثم صلى القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال : قد رأيت الذى صنعتم فلم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أننى خشيت أن تفرض عليكم»[١٥٣] وفى الرواية الأخرى عن عائشة رضى الله عنها : « . . فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فطفق رجال منهم يقولون : الصلاة ، ثم لم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال : أما بعد فإنه لم يخف على شأنكم الليلة ولكنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها»[١٥٤] .

يقول النووى : «إذا تعارضت مصلحة وخوف مفسدة أو مصلحتان اعتبر أهمهما لأن النبى ﷺ كان رأى الصلاة فى المسجد مصلحة لما ذكرناه، فلما عارضه خوف الافتراض عليهم تركه لعظم المفسدة التى تخاف من عجزهم وتركهم للفرض، وأن الإمام وكبير القوم إذا فعل شيئاً خلاف ما كان يتوقعه

(١٥٣) رواه مسلم عن عائشة - كتاب الصلاة - باب الترغيب فى صلاة التراويح ج٣ ص٤١٢ ط الشعب .

(١٥٤) رواه مسلم عن حرملة بن يحيى بسنده عن عائشة - الصلاة - الترغيب فى صلاة الليل .

اتباعه وكان له فيه عذر يذكره لهم تطييباً لقلوبهم واصلاحاً لذات البين لئلا يظنوا خلاف هذا وربما ظنوا سوء الظن. . »(١٥٥) .

وهى - أى صلاة التراويح - سنة مؤكدة عن النبى ﷺ للرجال والنساء، وهى المقصودة فى قولة الرسول ﷺ : «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» فالمراد بالقيام صلاح التراويح، وقد صلاها رسول الله ﷺ وصلى الناس بصلاته فى المسجد وفى جماعة، وقيل : إن الجماعة فيها مندوبة، وقيل : سنة كفاية لأهل الحى .

عدد ركعاتها : الوارد أن رسول الله ﷺ صلى بالصحابة ثمانى ركعات، وكانوا يكملونها عشرين ركعة فى بيوتهم ، فالعدد لم يكن مقصوراً على الثمانى، بدليل اكمالها فى البيوت .

وقد جمع عمر رضى الله عنه الناس على عشرين ركعة، وفى المسجد وقد وافقه على ذلك الصحابة، وفعل عمر رضى الله عنه سنة فهو من الخلفاء الراشدين وقد قال رسول الله ﷺ : «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى وعضوا عليها بالنواجذ»(١٥٦) .

وقد سئل أبو حنيفة عما فعله عمر فقال : «التروايح سنة مؤكدة. . وقد زيدت فى عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى ست وثلاثين ركعة وكان القصد من ذلك مساواة أهل المدينة أهل مكة فى الفضل، لأنهم -أهل مكة- كانوا يطوفون بالبيت بعد كل أربع ركعات سبعة أشواط فهى عشرون ركعة سوى الوتر، وقال المالكية : هى عشرون ركعة سوى الشفع والوتر»(١٥٧) .

ما يقرأ فيها : الأفضل أن يقرأ القرآن كله فى جميع الشهر حتى يستمع المصلى القرآن بتمامه فى شهر رمضان، ولو وافقه جمع يرضون بالتطويل

(١٥٥) انظر النووى على مسلم ج٣ ص٤١٣ .
(١٥٦) رواه أبو داود من حديث العرباض - كتاب السنة - باب لزم السنة ج٤ ص٢٠١ .
(١٥٧) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ص٢٩٦ .

لكان أفضل حتى لا يشق على أحد، وينقل عن الإمام أحمد رضى الله عنه قوله : يقرأ بالصوم فى شهر رمضان ما يخفف على الناس ولا يشق عليهم»[١٥٨] ولا يسرع فى قراءته إسراعاً يخل بصلاته كما يحدث فى هذا العصر»[١٥٩] .

٨ - الاعتكاف:

وهو المكث فى المسجد على وجه مخصوص، فأركانه ثلاثة : أ . المكث فى المسجد ، ب - المسجد نفسه . جـ - الشخص المعتكف ، وذلك عند غير الشافعية والمالكية حيث يرون أن نية الاعتكاف ركن وليست شرطاً، فالأركان عندهم أربعة، وقيل فى معنى الاعتكاف : هو ملازمة الشئ والدوام عليه خيراً كان أو شراً، ومنه قوله : ﴿ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون﴾[١٦٠] والذى يعنينا هنا هو المكث فى المسجد بنية مخصوصة، وقد روى أن رسول الله ﷺ اعتكف ، فعن ابن عمر رى الله عنهما قال : «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان»[١٦١] ، وعن عائشة رضى الله عنها (أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه بعده)[١٦٢] ومن القرآن : ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد﴾[١٦٣] فالنهى عن الوطء فيه دليل على أنه قربة وعبادة، وهو فى رمضان سنة عن النبى ﷺ عند الأئمة رضوان الله عليهم، وفى العشر الأواخر منه آكد، وذكر الحنفية أنه فى العشر الأواخر سنة كفاية،

(١٥٨) المغنى لابن قدامة المقدسى ج٢ ص١٦٩ - ط عالم الكتب .

(١٥٩) حيث يقرأ الإمام فى بعض المساجد والزوايا بعد الفاتحة آيتين أو آية أو بعض آية، ولا يستوى راكعاً ولا ساجداً ولا يطمئن فى أى ركن فعلى من أركان الصلاة اختصاراً للوقت واستعجالاً للانتهاء وما ذلك إلا من فعل الشيطان «وكان الإنسان عجولاً» .

(١٦٠) سورة الأنبياء الآية ٥٢ .

(١٦١) مسلم عن عائشة - الاعتكاف - باب اعتكاف النبى واعتكاف أزواجه من بعده ج٣ ص٢٩٢ .

(١٦٢) مسلم عن عائشة - الاعتكاف - اعتكاف النبى واعتكاف أزواجه من بعده ج٣ ص٢٤٣ .

(١٦٣) سورة البقرة من الآية ١٨٧ .

وفى غيرها مستحب، ورأى المالكية أنه يجوز فى رمضان وغيره ويتأكد فى رمضان، وفى العشر الأواخر منه آكد . . »[١٦٤] .

شروطه : الإسلام فلا يصح من كافر ، والتمييز فلا يصح من مجنون ولا من صبى غير مميز بخلاف المميز فيصح اعتكافه، أن يكون فى المسجد فلا يصح فى المنزل ونحوه كالمحال والحوانيت والأندية . . ، ومن الشروط النية، عند الأحناف والحنابلة، خلافاً للشافعية والمالكية حيث يرون أن النية ركن وليست شرطاً، ومنها الطهارة من الجنابة، والحيض والنفاس وهذا الشرط الأخير شرط لصحة المكث فى المسجد .

حكم اعتكاف المرأة :

ما ورد عن النبى ﷺ فى رواية عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده - وهذه العبارة الأخيرة من الحديث هى محل الاستشهاد فاعتكاف زوجات النبى دليل على صحة اعتكاف المرأة المسلمة . إلا أنه قد اشترط إذن الزوج لصحة ذلك، ورأى الشافعية أنها إذا اعتكفت بغير إذن زوجها صح الاعتكاف إلا أنها تكون آثمة ويكره اعتكافها إن أذن لها وكانت من ذوات الهيئة[١٦٥] ، أى الشكل الجميل الفتان»، ولا يصح الاعتكاف إلا فى المسجد لاعتكاف النبى وأزواجه وأصحابه به مع مشقة ذلك .

وقال أبو حنيفة : يصح اعتكاف المرأة فى مسجد بيتها وهو الموضع المهيأ من بيتها لصلاتها ، ولا يجوز للرجل فى مسجد بيته، وأجاز ذلك قول قديم للشافعى، وجوزه بعض أصحاب مالك وبعض أصحاب الشافعى للمرأة والرجل فى مسجد بيتهما . . »[١٦٦] والأرجح اعتكافها بالمسجد الذى تقام فيه الجماعة الراتبة وتصلى فيه الصلوات كلها وإذا اعتكفت المرأة فى المسجد

---

(١٦٤) الفقه على المذاهب الأربعة بتصرف شديد ص٥٥١ .
(١٦٥) الفقه على المذاهب الأربعة - مرجع السابق .
(١٦٦) انظر شرح النووى على مسلم ج٣ ص٢٤٢ .

استحب لها أن تستتر بشئ لأن أزواج النبى ﷺ لما أردن الاعتكاف أمرن بأبنيتهن فضربن فى المسجد، ولأن المسجد يحضره الرجال وخير لهم وللنساء ألا يرونهم ولا يرونهن، ولأن الوارد أن النبى لما أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخل معتكفه وأنه أمر بخبائه فضرب، أراد الإعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان فأمرت زينب بخبائها فضرب وأمر غيرها من أزواج النبى ﷺ بخبائه فضرب(١٦٧) .

ويعلق النووى بقوله : «فيه دليل على جواز اتخاذ المعتكف لنفسه موضعاً من المسجد ينفرد فيه مدة اعتكافه ما لم يضيق على الناس، وإن اتخذه يكون فى آخر المسجد ورحابه لئلا يضيق على غيره وليكون أخلى له وأكمل فى انفراده»(١٦٨) فخلاصة المسألة : أن المرأة يجوز اعتكافها إن أذن لها زوجها ويكون الاعتكاف بالمسجد الذى تقام فيه الجماعة الراتبة فى جميع الصلوات، وعليها أن تستتر بشئ عن الأعين - وهذا هو الأصل، ورأى البعض أنه يجوز لها الاعتكاف فى مسجد بيتها وهو المكان الذى هيأته للصلاة - ولكن هذا الرأى لا دليل عليه فهو اجتهاد فى مقابلة نص، وهو ما ورد من اعتكاف أزواج النبى بالمسجد واتخاذ الأخبية(١٦٩) .

مبطلاته : وهناك أمور يجب اجتنابها ليصح الاعتكاف ولا يفسد منها : الخروج بلا عذر شرعى، والجماع ولو كان ناسياً أو مكرهاً ليلاً أو نهاراً ورأى البعض أن يكون متعمداً، والإنزال فى حال المباشرة بشهوة بخلاف الإنزال بالفكر أو النظر فلا يبطل به ، وخالف المالكية ورأوا بطلانه ، والردة والعياذ بالله وغياب العقل بالسكر ليلاً ونهاراً، والإغماء والجنون الطويلين، وكذلك إذا حاضت المرأة أو كانت نفساء، فإن المعتكف يتقرب إلى الله باعتكافه فلا ينبغى له أن يرتكب ما يبطل عبادته وقربته .

(١٦٧) الحديث بتمامه رواه مسلم عن عائشة - الصوم - اعتكاف النبى ﷺ واعتكاف أزواجه - ج٣ ص٣٤٣ .

(١٦٨) انظر النووى على مسلم - مرجع سابق ص٢٤٣ .

(١٦٩) جمع خباء - وهو بيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة فهو قريب الشكل من الخيمة (المعجم الوسيط ج١ ص٢١٣) .

آداب المعتكف:

يستحب للمعتكف أن ينشغل على قدر استطاعته بالصلاة والذكر وقراءة القرآن والتفكر القلبى فى ملكوت السموات والأرض وسائر الطاعات، ويسن له الصيام عند من لم يشترطه للاعتكاف، وأن يكون فى المسجد الجامع، ويندب الاعتكاف فى رمضان لأنه أفضل الشهور والعشر الأواخر منه أفضل أيامه وهذا الأصل الوارد، كما يندب للمعتكف أن يمكث ليلة العيد إذا اتصل اعتكافه بها أى اعتكف نهاراً ودخل الليلة، ليخرج من اعتكافه إلى مصلى العيد، ويجب عليه اجتناب ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال ولا يكثر الكلام لما ورد فى الحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(١٧٠)] ويجتنب الجدال والمراء والسباب والفحش ولا يتكلم إلا بخير..»[(١٧١)].

مكروهاته: البيع أو إحضار المبيع بالمسجد، وعقد التجارة لانقطاعه إلى الله، كما يكره الصمت أن اعتقد أن فيه قربة إلى الله، وألا ينقص عن عشرة أيام ولا يزيد عن شهر، الاشتغال بعلم إن كثر ولو شرعياً تعلماً او تعليماً لأن المقصود من الاعتكاف رياضة النفس وصفاء القلب بمراقبة الرب وذلك يحصل بالذكر والصلاة، ومنها: السلام على الغير البعيد ويجوز على من يقربه.. والغرض من الاعتكاف هو وصل القلب بالله ومحاسبة النفس ومواجهة الأفعال ولذا فإن الذكر والاستغفار هو سبيل نقاء القلب وطمأنينته **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**[(١٧٢)] فالاعتكاف فى شهر رمضان وبالذات فى العشر الأواخر منه التى تقع ليلة القدر فيها من الأمور المستحبة وهو سنة عن رسول الله ﷺ ينبغى على الصائم أن يحرص عليها بقدر استطاعته، ومراعياً آدابه محافظاً

(١٧٠) رواه الترمذى - الزهد - باب ١١ عن أبى هريرة ج٤ ص٥٥٨ ط الحلبى.
(١٧١) انظر الفقه الإسلامى وأدلته - وهبة الزحيلى - ج٢ ص٧١٦.
(١٧٢) سورة الرعد الآية ٢٨.

على شروطه ليحظى بالأجر كاملاً إن شاء الله، حيث إن مجرد المكث فى المسجد له ثوابه.

مدته وزمانه:

فى هذه الجزئية يجب الانتباه إلى أن ما ورد عن النبى ﷺ هو الصورة المثلى، والممارسة الكاملة للاعتكاف من حيث الآداب والتوجيهات ومدة الاعتكاف وكان صلوات الله وسلامه عليه إذا دخل العشر الأواخر يجتهد فيها وكان يعتكف فيها ويشد المئزر ويوقظ أهله. . .، إلا أن هناك اجتهادات لطيفة للعلماء فى أقل مدة الاعتكاف وأكثرها فى غير المنذور - لأن المنذور حسب ما حدده الناذر -، أما غير المنذور: فيرى المالكية أن أقله يوم وليلة، ويرى الشافعية أنه لابد فى مدته من لحظة تزيد على زمن قول «سبحان الله» فالمدة المباحة: العشر الأواخر - أو شهر رمضان كله - أو يوم وليلة، أو لحظة فنخرج من هذا أن للإنسان أن ينوى الاعتكاف ويدخل المسجد معتكفاً المدة التى تناسبه، قلت أو كثرت يوماً أو بعض يوم، أو عدة ساعات، أو عدة أيام، فإذا جاء موظف مثلاً وأراد الاعتكاف وعاد من عمله منتصف نهار الخميس، ثم أكمل يوم الخميس والجمعة وليلة السبت اعتكافاً ثم خرج إلى عمله فقد أصاب من السنة ما لاءم حاله وما وافق ظروفه، وإذا كان فى إجازة مثلاً فاعتكف كل العشر الأواخر فقد حظى بالخير كله. . وهكذا يجوز لمن يريد الاعتكاف أن يأتى من السنة ما يتلاءم معه لقول الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[(١٧٣)] وقول الرسول ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم»[(١٧٤)] والله تعالى يتقبل ممن أخلص فى عمله وتقرب إليه سبحانه كما أن الاعتكاف الصحيح يورث القلب رقة وصفاء بمراقبة الله جل وعلا والإقبال إلى عبادته متجرداً لها ولله

---

(١٧٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(١٧٤) رواه مسلم عن أبى هريرة - كتاب الفضائل - باب وجوب اتباعه ﷺ ج٥ ص٢٠٥ ط الشعب.

عن شـواغل الدنيـا مع تفـويض أمـر النفس إلى جنابه سـبـحـانه وتعـالى، والتحصن بحصنه فلا يصل الشيطان عدو الإنسان بكيده إليه لما لسلطان الله من القـوة والقـهر وعـزيز تأييده ونصـره. . فهـو تـربية نفسـية وقـوة روحـية للعـبد. . وروحاً ورحـمة من الله وطريقـاً للجنة يسـره وهيأه للصـائم الذى أخلص فى سائر عمله وطاعته محتسباً ذلك عند الله.

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني
(صوم النفل)

صوم رمضان هو الفريضة وركن من أركان الإسلام، وهو عبادة ترك خالصة بين العبد وربه ، ولكل فرض نافلة من جنسه ، فالصلاة فرائضها معلومة ولها نوافل راتبة وغير راتبة من جنسها ، والزكاة الواجبة فى المال البالغ نصاباً والتى يتم اخراج الواجب منها معلوم حسب نوع المال المزكى فنافلتها الزيادة على القدر الذى حدده الشرع أو بذلها من المال الذى لم يبلغ نصاباً، والصوم كعبادة كسائر العبادات ركنها صيام رمضان على من تحققت فيه شروط الصيام ولتلك العبادة الواجبة نوافلها من جنسها وهى صوم غير رمضان من أيام السنة ، ويمكننا القول بأن صوم النفل يجوز طوال العام بعد اسقاط الصوم الحرام ، والصوم المكروه - وما بعد ذلك لا حرج فيه ويمكن للمسلم أن يصوم ما يشاء ويتقرب بها الله حسب قدرته وبقدر استطاعته، ومدى توفيق الله له .

أولاً: الصوم المنهى عنه:

هناك أيام نهى رسول الله ﷺ عن الصوم فيها ، نهياً للتحريم، أو نهياً للكراهة ، ونجملها فيما يلى :

١ - صوم يومى عيد الفطر، وعيد الأضحى:

وصومهما حرام لما ورد أن رسول الله ﷺ نهى عن صيام يومين يوم الفطر ويوم النحر» وقال ﷺ : «لا يصلح الصيام فى يومين يوم الأضحى ويوم الفطر من رمضان»[١٧٥] وفى رواية : «. . . يوم فطركم من صيامكم والآخر يوم تأكلون فيه من نسككم» وهذه علة حرمة الصوم فى هذين

(١٧٥) رواه مسلم - كتاب الصوم - باب تحريم صوم يومى العيدين - ج٣ ص١٩٤ .

اليـومين تميـز يوم الفطر عن أيام صيـام رمضـان، ويوم الأضحى للأكل من الأضحية «تأكلون من نسككم».

٢ - صوم أيام التشريق:

وهى اليوم الثانى والثالث والرابع التالية ليوم الأضحى، وصومها حرام، لما روى أن رسـول الله ﷺ قال: «أيام التشريق أيام أكل وشرب»(١٧٦) وفى رواية عن ابن كعب بن مالك: «. . . أيام منى أيام أكل وشرب».

٣ - إفراد يوم الجمعة بصيام:

وهذا من المكروه كـراهة تحريم، وذلك لما روى أن جابر بن عبد الله رضى الله عنهـما سئل وهو يطوف بالبيت: أنهى رسول الله ﷺ عن صـيـام يوم الجمعة؟ قال: نعم ورب البيت»(١٧٧) وفى رواية عن أبى هريرة: قـال: قال رسول الله ﷺ: «لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده»(١٧٨) فإن وافق عادة له فى الصيام - كأن كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فكان منها يوم جمعة فلا بأس لقوله ﷺ: «لاتختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم»(١٧٩) يقـول النووى: وفى هذه الأحـاديث دلالة ظاهرة لقول جمهور أصحاب الشافعى وموافقيه أنه يكره إفراد يوم الجمعة بالصوم إلا أن يوافق عادة له، فإن وصله بيوم قبله أو بعده أو وافق عادة له بأن نذر أن يصوم يوم شفاء مريضه أبداً (أى بصفة دائمة) فوافق يوم الجمعة لم يكره، ويعلق على قول الإمام مالك فى الموطأ: «لم أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومن به يقتدى نهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن، وقد

(١٧٦) رواه مسلم عن نبيشة الهذلى - كتاب الصوم - تحريم صوم أيام التشريق ج٣ ص١٩٥ عن نبيشة الهذلى.

(١٧٧) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله - كتاب الصوم - باب كراهة افراد يوم الجمعة بصيام ج٣ ص١٩٦.

(١٧٨) رواه مسلم عن أبى هريرة - كتاب الصوم - باب كراهة إفراد يوم الجمعة بصيام ج٣ ص١٩٦.

(١٧٩) رواه مسلم عن أبى هريرة - كتاب الصوم - كراهة إفراد يوم الجمعة بصيام ج٣ ص١٩٧.

رأيت بعض أهل العلم يصومه، وأراه كان يتحراه»[١٨٠] فهذا الذى قاله هو الذى رآه وقد رأى غيره خلاف ما رأى هو والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره.. ومالك معذور فإنه لم يبلغه، قال الداودى من أصحاب مالك: لم يبلغ مالكاً هذا الحديث (حديث النهى عن إفراد الجمعة بصيام) ولو بلغه لم يخالفه»[١٨١] ووافق مالك فى عدم الكراهة أبو حنيفة ولكن الأدلة متظاهرة على الكراهة.

٤ - إفراد يوم السبت بصيام:

وهو مكروه كراهة تنزيه لما فيه بالتشبه باليهود لأنهم يعظمون يوم السبت، ومعنى الكراهة هنا أن يختص الرجل يوم السبت بالصيام، وذلك لما ورد من أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض الله عليكم، فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضعه»[١٨٢].. وكان رسول الله ﷺ يصوم السبت والأحد أكثر مما يصوم من الأيام ويقول: إنهما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم» كما فى رواية أحمد عن أم سلمة- فالكراهة تحصل بإفراده بالصيام.

٥ - صوم يوم الشك:

وهو آخر يوم من شعبان احتمل أن يكون من رمضان وذلك بأن لم ير الهلال بسبب غيم بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شعبان فوقع الشك فى اليوم التالى له هل هو من رمضان أو من شعبان ويدور حكم صومه بين الكراهة تحريماً أو تنزيهاً، والبطلان، ويرى الشافعية أنه يحرم صومه سواء أكان السماء فى غروب اليوم الذى سبقه صحوا أو بها غيم، خلافاً للإمام أحمد الذى يرى وجوب صومه حينئذ لأن مراعاة الخلاف لا تستحب متى

(١٨٠) الموطأ - للإمام مالك - ج١ ص٣١١ ط عيسى الحلبى - بدون سنة طبع.

(١٨١) انظر النووى على مسلم ج٣ ص١٩٧.

(١٨٢) رواه الترمذى عن عبد الله بن بسر عن أخته - كتاب الصوم باب ما جاء فى صوم السبت - ج٣ ص١١١ حديث ٧٤٤.

خالف حديثاً صريحاً وهو قول النبى ﷺ : « . . فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً»(١٨٣) وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه : «من صام اليوم الذى شك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ »(١٨٤) فصومه حرام أو مكروه إلا إن كان الرجل يصوم فوافق صيامه ذلك فلا بأس به عندهم ، وفى الإقناع : «يكره صوم يوم الشك كراهة تنزيه . . إلا أن يوافق صومه عادة له فى تطوعه : كأن كان يسرد الصوم أو يصوم يوماً ويفطر يوماً ، أو الاثنين والخميس فوافق صومه يوم الشك»(١٨٥) . . فلا كراهة حينئذ لموافقته عادته فى صوم التطوع .

٦ - صيام المرأة وزوجها حاضر بغير إذنه :

فلا يجوز لامرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها حاضر بدون إذن منه ، أما إذا كان غائباً فلها ذلك ، وإذا حضر يجوز له أن يقطع صيامها ، وكذلك إذا كان الزوج مريضاً عاجزاً عن مباشرتها لها أن تصوم والأصل فى ذلك قول النبى ﷺ : «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه»(١٨٦) وذلك لافتياتها على حقه .

٧ - مواصلة الصوم :

فيكره مواصلة الصوم أى وصل الليل بالنهار ، أو المواصلة إلى السحر ، وقيل هو صوم يوم أو أكثر فصاعدا دون أكل أو شرب بينهما لما فى ذلك من مشقة شديدة على الواصل ، والأصل فى ذلك قول رسول الله ﷺ : «إياكم والوصال ، قالوا فإنك تواصل يا رسول الله ، قال إنكم لستم فى ذلك مثلى إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون»(١٨٧)

(١٨٣) الحديث سبق تخريجه ، وانظر الفقه على المذاهب الأربعة ص٥٣٠ .

(١٨٤) رواه الترمذى موقوفاً على عمار - الصوم - باب ما جاء فى كراهية صوم يوم الشك ج٣ ص٦١ .

(١٨٥) الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع - الخطيب الشربينى - ج١ ص٤٧٩ ط دار الكتب العلمية .

(١٨٦) الترمذى عن أبى هريرة - الصوم - كراهية صوم المرأة إلا بإذن زوجها ج٣ ص١٤٢ .

(١٨٧) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - الصوم - باب النهى عن الوصال - ج٣ واللفظ لمسلم .

وفى رواية للبخارى : يقول رسول الله ﷺ : «لا تواصلوا ، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر قالوا فإنك تواصل يا رسول الله ، قال لست كهيئتكم إنى أبيت لى مطعم يطعمنى وساق يسقينى»(١٨٨) فقوله : «أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى» معناه يجعل الله فىَّ قوة الطاعم الشارب ، وقيل هو على ظاهره وأنه يطعم من طعام أهل الجنة كرامة له ، والصحيح الأول لأنه لو أكل حقيقة لم يكن مواصلاً ، ومما يوضح هذا التأويل ويقطع النزاع قوله فى الرواية الأخرى : «إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى» ولفظة (ظل) لا تكون إلا فى النهار . . ولا يجوز الأكل الحقيقى فى النهار بلا شك - ويقول أهل اللغة : يقال : ظل يفعل كذا إذا عمله فى النهار دون الليل . . »(١٨٩) وقيل الكراهة للتحريم أو للتنزيه والأول أصح .

ثانياً : صيام التطوع :

بعد بيان الصوم المكروه والحرام - يبقى بيان نوافل الصوم التى فعلها رسول الله ﷺ لنقتدى به فيها قدر استطاعتنا لننال أجرها لاقتدائنا برسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فمن تلك النوافل :

١ - صيام ست من شوال :

ويستحب أن تكون متتابعة ومتصلة بيوم الفطر ورأى الحنفية أنه يستحب أن تكون متفرقة فى كل أسبوع يومان»(١٩٠) .

وللمسلم أن يصومها متتابعة أو متفرقة متصلة بيوم الفطر أو غير متصلة لأن المقصود أن تكون فى شوال وذلك لحديث الرسول ﷺ : «من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»(١٩١) .

---

(١٨٨) رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى - الصوم - باب الوصال إلى السحر - ج٣ ص٤٩ .

(١٨٩) انظر شرح النووى على مسلم ج٣ ص١٥٤ .

(١٩٠) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ص٥٢٣ .

(١٩١) رواه مسلم عن أبى أيوب الأنصارى - كتاب الصيام - باب استحباب صوم ستة أيام من شوال ج٣ ص٢٣١ .

٢ - صوم عشر ذى الحجة ويوم عرفة لغير الحاج:

وذلك لقول النبى ﷺ : «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية»(١٩٢) ويقول ﷺ عن صيام عشر ذى الحجة : «أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ صيام عاشوراء، والعشر وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغداة»(١٩٣) فالأدلة ناطقة بصوم النبى ﷺ العشر من ذى الحجة، وأكد على يوم عرفة لغير حاج.

٣ - صوم المحرم وعاشوراء:

فأما عن صوم المحرم فقد روى أن رسول الله ﷺ سئل : أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال : الصلاة فى جوف الليل، قيل : ثم أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال : شهر الله الذى تدعونه المحرم»(١٩٤) ، وأما عن صوم عاشوراء فقد وردت روايات عديدة، منها ما روى أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذى تصومونه؟ فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ : فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله وأمر بصيامه»(١٩٥) وفى رواية أخرى لمسلم : أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يارسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع ، فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ »(١٩٦) قال العلماء : فى هذا دلالة على أنه ﷺ كان لا يصوم التاسع فتعين أنه كان يصوم العاشر، كما ذهب جماهير العلماء من

(١٩٢) جزء من حديث لمسلم عن أبى قتادة - الصوم - باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عرفة ويوم عاشوراء ج٣ ص٢٢٥ .

(١٩٣) رواه النسائى عن حفصة - الصوم - كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ج٤ ص٢٢٠ .

(١٩٤) رواه مسلم عن أبى هريرة - الصوم - فضل صوم المحرم ج٣ ص٢٣٠ .

(١٩٥) رواه مسلم - كتاب الصوم - باب صوم يوم عاشوراء - عن ابن عباس ج٣ ص١٨٨ .

(١٩٦) مسلم عن ابن عباس - كتاب الصيام - باب صوم عاشوراء ج٣ ص١٩١ .

السلف والخلف إلى أن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، ولعل السبب فى نية صيام التاسع أنه كان لا يريد أن يتشبه باليهود فى إفراد العاشر، بل يصوم التاسع والعاشر..»[١٩٧] فللمسلم أن يصوم العاشر من المحرم، أو يضم التاسع مخالفة لليهود.

٤ - صوم يوم وإفطار يوم، وصيام يوم الاثنين، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر:

ويجمع هذا حديث رواه الإمام مسلم: «سئل رسول الله ﷺ عن صيام الدهر؟ فقال: لا صام ولا أفطر، أو ما صام وما أفطر، وسئل عن صوم يومين وإفطار يوم؟ قال: ومن يطيق ذلك؟. وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم؟، فقال: ذاك صوم أخى داود (عليه السلام) وسئل عن صوم يوم الإثنين؟ فقال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل على فيه، قال: فقال: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، ورمضان إلى رمضان صوم الدهر، قال: وسئل عن صوم يوم عرفة؟ فقال يكفر السنة الماضية والباقية، قال: وسئل عن صوم يوم عاشوراء؟ قال: يكفر السنة الماضية»[١٩٨].. وفى هذا الحديث من رواية شعبة قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين والخميس فسكتنا عن ذكر الخميس لما نراه وهماً»[١٩٩] فالحديث بين فضل صيام يوم وافطار يوم، كما بين فضل صوم يوم الاثنين، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عرفة وعاشوراء، إلا أنه لم يذكر صيام يوم الخميس إلا فى رواية شعبة، وقد وردت أحاديث فى فضل صيام الاثنين والخميس، فقد روى أن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم»[٢٠٠] وفى رواية أخرى: «كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس»[٢٠١]، وبالنسبة لصيام ثلاثة أيام من كل شهر ينقل

(١٩٧) انظر النووى على مسلم ج٣ ص١٩٤.

(١٩٨) رواه مسلم عن أبى قتادة الأنصارى - كتاب الصيام - باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عرفة وعاشوراء - ج٣ ص٢٢٦

(١٩٩) رواه مسلم عن شعبه - ج٣ ص٢٢٦.

(٢٠٠) رواه الترمذى عن أبى هريرة - الصوم - باب ما جاء فى صوم الاثنين والخميس ج٣ ص١١٣.

(٢٠١) رواه الترمذى عن عائشة - الصوم - باب ما جاء فى صوم الاثنين والخميس ج٣ ص١١٣.

النووى عن القاضى عياض قوله : «واختلفوا فى تعيين هذه الأيام الثلاثة المستحبة ففسره جماعة من الصحابة والتابعين بأيام البيض وهى : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، واختار آخرون ثلاثة من أوله واختارت عائشة صيام السبت والأحد والاثنين من شهر ، ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس من الشهر الذى بعده . .»(٢٠٢) وقيل غير ذلك ونقلت عن النبى ﷺ رواية قال فيها : «إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»(٢٠٣) وفى رواية لمسلم أن السيدة عائشة رضى الله عنها سئلت : «كان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت : نعم، قيل : من أى الشهر كان يصوم؟ لم يكن يبالى من أى الشهر يصوم؟» ففى المسألة تيسير وتسهيل وللمسلم أن يختار من الأيام ما يناسبه صيامه وإن كان من المستحب الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر لما ذكر فى الرواية السابقة .

٥ - صيام شعبان :

فكان رسول الله ﷺ يحرص على صيام أكثر أيامه ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : «لم يكن النبى ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله» وفى رواية : كان يصوم شعبان إلا قليلاً»(٢٠٤) وقد روى أن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم»(٢٠٥) فهذا يبين لنا ما لصيام شعبان من فضل وثواب .

---

(٢٠٢) انظر النووى على مسلم ج٣ ص٢٢٨ .

(٢٠٣) رواه الترمذى عن أبى ذر - الصوم - باب ما جاء فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر ج٣ ص١٢٤ .

(٢٠٤) رواه الترمذى عن عائشة - الصوم - باب ما جاء فى وصال شعبان برمضان ج٣ ص١٢٤ .

(٢٠٥) رواه النسائى عن أسامة بن زيد - كتاب الصوم - باب صوم النبى ، ج٤ ص٢٠١ .

٦ - صيام الأشهر الحرم:

وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ورجب ويستحب الإكثار من الصيام فيها ، وقد ورد فى صيامها أن رسول الله ﷺ قال : « ، ، صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك ، وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها»[٢٠٦] ويفهم من تأكيد النبى ﷺ «صم من الحرم واترك» استحباب الصيام فيها قدر الاستطاعة والطاقة .

من خلال ما سبق بيانه من صوم النافلة نخلص إلى أن نوافل الصوم التى فعلها الرسول ﷺ وأمر بفعلها استحباباً وزيادة فى الأجر ورفعة فى الدرجات وتقرباً إلى الله موجزها فيما يلى : صيام ست من شوال - صيام عشر ذى الحجة ويوم عرفة لغير الحاج - صوم المحرم ، وتاسوعاء وعاشوراء - صوم يوم وإفطار يوم - صوم الاثنين والخميس - صيام ثلاثة أيام من كل شهر - صيام أكثر أيام شعبان - صيام الأشهر الحرم ، وعلى سبيل الإجمال يمكن للمسلم أن يصوم تطوعاً فى أى يوم من السنة إلا ما ورد فيه نهى عن صومه كراهة أو تحريماً .

نية صوم النافلة:

إذا كنا قد ذكرنا أن تبييت النية لصيام الفرض واجب[٢٠٧] ، فإن صوم النافلة لا يحتاج إلى تبييت النية ليلاً قبل الفجر ، فيجوز أن يصوم نهاراً بشرط ألا يكون أتى ما ينافى الصيام ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال ياعائشة هل عندكم شئ؟ قالت : فقلت يا رسول الله ما عندنا شئ، قال : فإنى صائم ، قالت فخرج رسول الله ﷺ فأهديت لنا هدية ، أو جاء زور ،

(٢٠٦) الحديث بتمامه رواه أبو داود - الصيام - باب فى صوم الأشهر الحرم ج٢ ص٣٢٢ .

(٢٠٧) النية محلها القلب ، وهى قصد الشئ مقترناً بفعله ، فتكون مصاحبة لبدء الفعل فى المنوى ، فمثلاً نية الصلاة قصدها عند تكبيرة الإحرام ولكن فى نية الصيام لا يشترط أن تقترن ببداية الفعل لمشقة ذلك حيث يلزم ترقب طلوع الفجر الصادق واستحضار النية عندئذ فمن تيسير الله على عباده ورحمته بهم جعل نية الصوم جائزة فى أى وقت من الليل فوقتها من أول الليل إلى آخره ولا ينقضها ما ينافى الصيام من الباحات فى ليل رمضان من طعام أو شراب أو جماع .

قالت فلما رجع رسول الله ﷺ ، قلت : يا رسول الله أهديت لنا هدية أو جاءنا زور وقد خبأت لك شيئاً ، قال : ما هو : قلت «حيس» قال : هاتيه فجئت به فأكل ثم قال قد كنت أصبحت صائماً» قال طلحة : فحدثت مجاهداً بهذا الحديث ، فقال ذاك بمنزلة الرجل يخرج الصدقة من ماله فإن شاء أمضاها وإن شاء أمسكها»(٢٠٨) ، والحيس هو التمر مع السمن والأقط ، والزور يراد به الزوار والمعنى جاءنا زائرون ومعهم هدية خبأت لك منها ، يقول النووى : وفيه دليل لمذهب الجمهور أن صوم النافلة يجوز بنية فى النهار قبل زوال الشمس ، ويرد على المخالفين قائلاً : ويتأول البعض سؤاله : هل عندكم شىء؟ لكونه ضعف عن الصوم وكان نواه ليلاً فأراد الفطر للضعف - وهذا تأويل فاسد وتكلف بعيد»(٢٠٩) ، والصواب رأى الجمهور عدم اشتراط تبييت النية لصوم النافلة ، والله أعلم .

* * *

(٢٠٨) رواه مسلم عن عائشة - كتاب الصيام - باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال وجواز فطر الصائم نفلاً من غير عذر والأولى إتمام ج٣ ص٢١٠ .

وروى الترمذى صدر الحديث عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين كتاب الصوم - بب صيام المتطوع بغير تبييت ج٣ ص١٠٢ .

(٢٠٩) النووى على مسلم ج٣ ص٢١١ .

السلف والخلف إلى أن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، ولعل السبب فى نية صيام التاسع أنه كان لا يريد أن يتشبه باليهود فى إفراد العاشر، بل يصوم التاسع والعاشر..»[١٩٧] فللمسلم أن يصوم العاشر من المحرم، أو يضم التاسع مخالفة لليهود.

٤ - صوم يوم وإفطار يوم، وصيام يوم الاثنين، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر:

ويجمع هذا حديث رواه الإمام مسلم: «سئل رسول الله ﷺ عن صيام الدهر؟ فقال: لا صام ولا أفطر، أو ما صام وما أفطر، وسئل عن صوم يومين وإفطار يوم؟ قال: ومن يطيق ذلك؟. وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم؟، فقال: ذاك صوم أخى داود (عليه السلام) وسئل عن صوم يوم الإثنين؟ فقال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل على فيه، قال: فقال: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، ورمضان إلى رمضان صوم الدهر، قال: وسئل عن صوم يوم عرفة؟ فقال يكفر السنة الماضية والباقية، قال: وسئل عن صوم يوم عاشوراء؟ قال: يكفر السنة الماضية»[١٩٨].. وفى هذا الحديث من رواية شعبة قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين والخميس فسكتنا عن ذكر الخميس لما نراه وهماً»[١٩٩] فالحديث بين فضل صيام يوم وافطار يوم، كما بين فضل صوم يوم الاثنين، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عرفة وعاشوراء، إلا أنه لم يذكر صيام يوم الخميس إلا فى رواية شعبة، وقد وردت أحاديث فى فضل صيام الاثنين والخميس، فقد روى أن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم»[٢٠٠] وفى رواية أخرى: «كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس»[٢٠١]، وبالنسبة لصيام ثلاثة أيام من كل شهر ينقل

(١٩٧) انظر النووى على مسلم ج٣ ص١٩٤.

(١٩٨) رواه مسلم عن أبى قتادة الأنصارى - كتاب الصيام - باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عرفة وعاشوراء - ج٣ ص٢٢٦

(١٩٩) رواه مسلم عن شعبه - ج٣ ص٢٢٦.

(٢٠٠) رواه الترمذى عن أبى هريرة - الصوم - باب ما جاء فى صوم الاثنين والخميس ج٣ ص١١٣.

(٢٠١) رواه الترمذى عن عائشة - الصوم - باب ما جاء فى صوم الاثنين والخميس ج٣ ص١١٣.

النووى عن القاضى عياض قوله : «واختلفوا فى تعيين هذه الأيام الثلاثة المستحبة ففسره جماعة من الصحابة والتابعين بأيام البيض وهى : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، واختار آخرون ثلاثة من أوله واختارت عائشة صيام السبت والأحد والاثنين من شهر ، ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس من الشهر الذى بعده . .»[٢٠٢] وقيل غير ذلك ونقلت عن النبى ﷺ رواية قال فيها : «إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»[٢٠٣] وفى رواية لمسلم أن السيدة عائشة رضى الله عنها سئلت : «كان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت : نعم، قيل : من أى الشهر كان يصوم؟ لم يكن يبالى من أى الشهر يصوم؟» ففى المسألة تيسير وتسهيل وللمسلم أن يختار من الأيام ما يناسبه صيامه وإن كان من المستحب الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر لما ذكر فى الرواية السابقة .

٥ - صيام شعبان :

فكان رسول الله ﷺ يحرص على صيام أكثر أيامه ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : «لم يكن النبى ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله» وفى رواية : كان يصوم شعبان إلا قليلاً»[٢٠٤] وقد روى أن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم»[٢٠٥] فهذا يبين لنا ما لصيام شعبان من فضل وثواب .

---

(٢٠٢) انظر النووى على مسلم ج٣ ص٢٢٨ .
(٢٠٣) رواه الترمذى عن أبى ذر - الصوم - باب ما جاء فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر ج٣ ص١٢٤ .
(٢٠٤) رواه الترمذى عن عائشة - الصوم - باب ما جاء فى وصال شعبان برمضان ج٣ ص١٢٤ .
(٢٠٥) رواه النسائى عن أسامة بن زيد - كتاب الصوم - باب صوم النبى ، ج٤ ص٢٠١ .

٦ - صيام الأشهر الحرم:

وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ورجب ويستحب الإكثار من الصيام فيها ، وقد ورد فى صيامها أن رسول الله ﷺ قال : « ، صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك ، وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها »[٢٠٦] ويفهم من تأكيد النبى ﷺ «صم من الحرم واترك» استحباب الصيام فيها قدر الاستطاعة والطاقة .

من خلال ما سبق بيانه من صوم النافلة نخلص إلى أن نوافل الصوم التى فعلها الرسول ﷺ وأمر بفعلها استحباباً وزيادة فى الأجر ورفعة فى الدرجات وتقرباً إلى الله موجزها فيما يلى : صيام ست من شوال - صيام عشر ذى الحجة ويوم عرفة لغير الحاج - صوم المحرم ، وتاسوعاء وعاشوراء - صوم يوم وإفطار يوم - صوم الاثنين والخميس - صيام ثلاثة أيام من كل شهر - صيام أكثر أيام شعبان - صيام الأشهر الحرم ، وعلى سبيل الإجمال يمكن للمسلم أن يصوم تطوعاً فى أى يوم من السنة إلا ما ورد فيه نهى عن صومه كراهة أو تحريماً .

نية صوم النافلة:

إذا كنا قد ذكرنا أن تبييت النية لصيام الفرض واجب[٢٠٧] ، فإن صوم النافلة لا يحتاج إلى تبييت النية ليلاً قبل الفجر ، فيجوز أن يصوم نهاراً بشرط ألا يكون أتى ما ينافى الصيام ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال ياعائشة هل عندكم شئ؟ قالت : فقلت يا رسول الله ما عندنا شئ ، قال : فإنى صائم ، قالت فخرج رسول الله ﷺ فأهديت لنا هدية ، أو جاء زور ،

(٢٠٦) الحديث بتمامه رواه أبو داود - الصيام - باب فى صوم الأشهر الحرم ج٢ ص٣٢٢ .

(٢٠٧) النية محلها القلب ، وهى قصد الشئ مقترناً بفعله ، فتكون مصاحبة لبدء الفعل فى المنوى ، فمثلاً نية الصلاة قصدها عند تكبيرة الإحرام ولكن فى نية الصيام لا يشترط أن تقترن ببداية الفعل لمشقة ذلك حيث يلزم ترقب طلوع الفجر الصادق واستحضار النية عندئذ فمن تيسير الله على عباده ورحمته بهم جعل نية الصوم جائزة فى أى وقت من الليل فوقتها من أول الليل إلى آخره ولا ينقضها ما ينافى الصيام من الباحات فى ليل رمضان من طعام أو شراب أو جماع .

قالت فلما رجع رسول الله ﷺ ، قلت : يا رسول الله أهديت لنا هدية أو جاءنا زور وقد خبأت لك شيئاً ، قال : ما هو : قلت «حيس» قال : هاتيه فجئت به فأكل ثم قال قد كنت أصبحت صائماً» قال طلحة : فحدثت مجاهداً بهذا الحديث ، فقال ذاك بمنزلة الرجل يخرج الصدقة من ماله فإن شاء أمضاها وإن شاء أمسكها»(٢٠٨) ، والحيس هو التمر مع السمن والأقط ، والزور يراد به الزوار والمعنى جاءنا زائرون ومعهم هدية خبأت لك منها ، يقول النووى : وفيه دليل لمذهب الجمهور أن صوم النافلة يجوز بنية فى النهار قبل زوال الشمس ، ويرد على المخالفين قائلاً : ويتأول البعض سؤاله : هل عندكم شئ؟ لكونه ضعف عن الصوم وكان نواه ليلاً فأراد الفطر للضعف - وهذا تأويل فاسد وتكلف بعيد»(٢٠٩) ، والصواب رأى الجمهور عدم اشتراط تبييت النية لصوم النافلة ، والله أعلم .

❊ ❊ ❊

---

(٢٠٨) رواه مسلم عن عائشة - كتاب الصيام - باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال وجواز فطر الصائم نفلاً من غير عذر والأولى إتمام ج٣ ص٢١٠ .

وروى الترمذى صدر الحديث عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين كتاب الصوم - بب صيام المتطوع بغير تبييت ج٣ ص١٠٢ .

(٢٠٩) النووى على مسلم ج٣ ص٢١١ .

المبحث الأول
آثار الصوم فى حفظ الجسد ووقايته

من الأمور المسلمة فى صحة الأبدان وعلاقتها بالتغذية، أن الاستكثار من الطعام وملء المعدة له آثاره الضارة على الجسم ونشاطه، ولما كان الصوم إمساكاً عن الطعام والشراب فى نهار رمضان بنية مخصوصة، فمن المتوقع فطرياً أن يستعيض الصائم عن مدة الإمساك وخلو المعدة إلى درجة التخمة، لذلك كان من توجيهات الشرع الحكيم عدم الاستكثار من الطعام لأن ذلك ينافى فلسفة الصيام وينفى الفائدة المرجوة منه .

ويذكر الغزالى ما ينبغى أن يراعيه الصائم فيقول : «ألا يستكثر من الطعام الحلال - أى الذى صار حلالاً بإتمام الصيام وحلول وقت الإفطار - بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال . . ثم يتساءل : وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته صحوة ناره؟!» وإنه قد صار من العادات السيئة التى تتنافى مع حكمة الصيام. أن تدخر جميع الأطعمة لرمضان، فيؤكل من الأطعمة ما لا يؤكل فى عدة أشهر، ومعلوم أن الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى»[(٢٠٩)] ويؤيد ذلك ما نشاهده كل عام قبيل رمضان من اهتمام وزارة التموين بتوفير المزيد من أصناف المأكولات و«الياميش» الذى أضيف إليه رمضان. . وغير ذلك، وهذا واضح التنافى مع فلسفة الصيام التى تقوم على قمع النفس والانتصار على الشهوات التى يقوى إرادة الإنسان ويعليها .

(٢٠٩) احياء علوم الدين - الغزالى ج٢ ص٢٣٦ .

أ - الارتباط بين التقليل من الطعم وصحة البدن :

وعن فوائد التقليل من الطعام جاءت العديد من الأحاديث عن النبى ﷺ فمن ذلك :

١ - عن أبى ذر أن النبى ﷺ قال : «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة»(٢١٠) .

٢ - وعن مقدام بن معد يكرب أن النبى ﷺ قال : «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»(٢١١) .

ففى هذين الحديثين نهى رسول الله ﷺ عن الإسراف فى المأكل والمشرب والملبس إذ أن الإسراف فى المأكل مضر بالصحة ويؤدى إلى السمنة ، التى تتسبب فى كثير من الأمراض ، وفى الواقع أن الإنسان لا يحتاج إلا إلى قدر قليل من الطعام الذى يمده بما يحتاج إليه من طاقة تمكنه من الحياة فى صحة جيدة كما تعينه على أداء مهامه المختلفة فى حياته اليومية . . وتتضح من ذلك الحكمة من الصوم الذى فرضه الله سبحانه وتعالى على الناس شهراً من كل عام يستريح جهازهم الهضمى وتتخلص فيه أجسامهم من الشحم الزائد والرواسب المضرة بالصحة(٢١٢) . . وهذه الأحاديث مؤكدة للنهى القرآنى : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾(٢١٣) حيث نهى عن الإسراف فى إشباع الدوافع ، إذ أن الاعتدال فى ذلك سبيل لتحقيق الصحة للأبدان وصيانة الأجسام .

وقال حكيم : «إن الله جمع الطب فى ثلاث كلمات «كلوا واشربوا ولا تسرفوا» وأحياناً ما يذهب المريض إلى الطبيب الذى يحدد له العلاج وأوله

---

(٢١٠) رواه ابن ماجه - اللباس - باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة ج٢ ص١١٩٢ .

(٢١١) رواه ابن ماجه - الأطعمة - باب الاقتصاد فى الأكل وكراهية الشبع ج٢ ص١١١١ .

(٢١٢) الحديث النبوى وعلم النفس د/ محمد عثمان نجاتى - ط دار الشروق ١٠٩٠ ص٥٣ ، ٥٤ .

(٢١٣) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

الامتناع عن الطعام وملء المعدة واستبدال أقراص الفيتامين، أو المحاليل كالجلوكوز . . . وغير ذلك بالطعام وملء المعدة .

وروى أن الرشيد جمع أربعة أطباء : هندى، ورومى، وعراقى، وسوادى وقال : ليصف كل منكم الدواء الذى لا داء فيه - أى ليس له آثار جانبية - فقال الهندى : الدواء الذى لا داء فيه عندى هو الإهليلج الأسود، وقال العراقى : هو حب الرشاد الأبيض ، وقال الرومى : هو عندى الماء الحار، وقال السوادى - وكان أعلمهم - : الإهليلج يعفص المعدة وهذا داء، وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء، والماء الحار يرخى المعدة وهذا داء، قالوا : فما عندك ؟ فقال : الدواء الذى لا داء معه عندى : ألا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه ، قالوا : صدقت»[٢١٤] .

من كل ما سبق نخلص بحقيقة هامة هى أن جسم الإنسان يصح بالتقليل من الطعام وعدم الإسراف فيه ، وتتأكد لنا حكمة تشريع الصيام وأنه وقاية للنفس من عذاب الله بطاعته ، وللجسد من الأمراض والمتاعب بعدم ملء المعدة وإراحتها بالصيام .

ب - الآثار الصحية لتشريع الصيام :

اتضح لنا الارتباط الوثيق بين التقليل من الطعام وحفظ الجسم الإنسانى وصيانته من الأمراض وأن الامتناع عن الطعام قد يكون علاجاً فعالاً لكثير من أمراض الجهاز الهضمى وهذا ما أثبتته البحوث والتجارب الطبية، وهذا ما يؤكده بحث نشر فى مجلة «المسلمون» نوجز نتائجه فيما يلى :

أسفرت التجارب والبحوث عن فوائد الصوم الطبية وهى :

أ - راحة الجهاز الهضمى ساعات كل يوم ، ومعروف أن الجهاز الهضمى كغيره من الأحشاء الداخلية آلة تعمل بلا انقطاع من ساعة رضاع الطفل من أمه لأول مرة إلى أن يموت ، ومن الأمور الطبيعية فى علاج الكثير من

(٢١٤) إحياء علوم الدين ج٢ ص٨٤ .

الأمراض الصوم عن الطعام لساعات معلومة (خاصة التحضير للعمليات الكبيرة) لأن المعدة بيت الداء .

ب - المعروف علمياً أن القليل من الطعام خير من الكثير ، بل إن الأكل فى مواعيد ثابتة لا يتخللها أكلات خفيفة مع أخذ الوجبات بحيث تكفى الطاقة اللازمة للجسم هو أفضل بكثير من ملء المعدة وحشوها بما يفيد وما لا يفيد وهذه إحدى فضائل الصيام الجسمانية حيث يكتفى الصائم بالقليل من الطعام عند افطاره وهذه سنة المصطفى ﷺ عند صومه .

جـ - ثابت علمياً أن الإكثار من الطعام له مضار ظاهرة بل وأمراض محددة لها علاقة مباشرة بالإكثار من الطعام كبعض الأمراض الروماتيزمية وأمراض القلب وضغط الدم والبول السكرى ، فلا غرو أن كان الصوم راحة للجسم لمدة محدودة كل عام هى جزء من اثنى عشر جزءاً من عمر المريض ، وإذا كان الإكثار من الطعام يجلب كل هذه الأمراض ، فإن التقليل منه وتنظيمه يمنعها عن جسم الإنسان ويحفظه منيا ويقيه شرها .

كما أثبتت التجارب التى أجريت على عدد من الأشخاص الأصحاء أن الصوم ليس له آثار سلبية تذكر على الجسم وعلى صحة الإنسان ، ففى معظم حالات التجربة : تلاحظ نقص بسيط فى الوزن ، وانخفاض ضئيل فى مستوى كمية السكر فى الدم عند الغروب نتيجة لطول اليوم ولكنه فى حدود طاقة الجسم وفى المستوى الطبيعى .

كما لوحظ أن هناك فتوراً عند الصائمين خاصة فى الساعات الأخيرة من اليوم ، وربما كان ذلك نتيجة لانخفاض مستويات السكر فى الدم ولكن سرعان ما يدب النشاط بعد تناول الإفطار(٢١٥) .

وهنا تتأكد روعة التوجيه النبوى إلى أن يكون الإفطار على الرطب أو التمر وإلا فعلى الماء ، وذلك لسرعة تعويض الجسم ما فقده من سكر أثناء الصوم ليعود إليه النشاط والحيوية(٢١٦) .

(٢١٥) تم تلخيص البحث من كتاب الإسلام لسعيد حوى ج١ ص١٤٦ .
(٢١٦) وذلك من حديث : رواه أبو داود - الصوم - باب ما يفطر عليه ج٢ ص٣٠٦ .

وقد أشار البحث إلى أن هذه التجارب قد أجريت على أناس أصحاء وليس معنى ذلك أنها تنطبق على المرضى أو ذوى العاهات .

لذلك أبيح الفطر للمريض حتى يشفى ثم يقضى ما أفطره من أيام بعد أن يصح جسده .

فنخلص من هذا البحث وتلك التجارب إلى النتائج الآتية :

١ - أن الصوم ليس له آثار سلبية ضارة على جسم الإنسان وأعضائه كما يدعى البعض من عباد شهواتهم . . ، بل إن فيه الكثير من الفوائد للجسم .

٢ - راحة الجهاز الهضمى الذى لا يكف عن العمل طوال حياة الإنسان، حيث إنه يعمل بلا انقطاع، وهذا مما يقى من الأمراض ويجدد النشاط .

٣ - تنظيم وجبات الطعام ، وجعلها فى مواعيد ثابتة لا يتخللها وجبات أخرى خفيفة ، مما يزود الجسم بالطاقة اللازمة لنشاطه دون اسراف أو اكثار من الطعام .

٤ - التقليل من الطعام يقى الجسم من الأمراض المرتبطة بالإكثار منه كأمراض الروماتيزم، وأمراض القلب، وضغط الدم، والبول السكرى . . إلى آخر قائمة الأمراض التى يسببها الإكثار من الطعام .

كما أن فيه شفاء للعديد من الأمراض : فهو يزيل أعراض البول السكرى، والتهاب الكلى الحاد، كما أنه يزيد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية وذلك لقلة الماء الذى يعمل على تقليل مقاومة الجلد فى حالة زيادته - أى زيادة الماء - التى تقلل المقاومة، كما أنه يزيل سموم الأغذية والأدوية المتجمعة فى الجسم وتثقل نشاط المريض[٢١٧] . . فيؤدى إلى الكسل وثقل الحركة .

---

(٢١٧) نقلاً عن الطبيب الأمريكى د . ماك فادون - هدية الوعى الإسلامى .

جـ - هل الطعام ضار وله آثار سلبية على إطلاقه :

بعد بيان ما للإكثار من الطعام من آثار ضارة على الجسم، وأن الصوم وتجويع المعدة هما الأساس لصحة الأبدان، قد يفهم البعض أن الجوع حتى الهزال وعدم القدرة على الحركة والسعى فى دروب الحياة اليومية هو القربة إلى الله تعالى لنيل رضاه كما يعتقد بعض الزهاد أن حرمان الجسم من حقه فى الحياة والراحة والغذاء هو الزهد متناسين : «إن لبدنك عليك حقاً» فقمعوا الشهوات مع أنها خلقت حفاظاً على كيان الإنسان، وأمعنوا فى حرمان النفس من كل شئ حتى الضروريات اللازمة لاستمرار الحياة .

وهنا يجب تصحيح مفهوم الزهد بأنه عدم التطلع إلى ما فى أيدى الناس والرضا بما أعطاك الله ، فقد قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**﴾(٢١٨) أى لا تنظر إلى ما يملكه هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة . . فكان رسول الله ﷺ أزهد الناس فى الدنيا مع القدرة عليها»(٢١٩) فالزهد عبارة انصراف الرغبة عن الشئ إلى ما هو خير منه . . »(٢٢٠) ولم يقل حرمان النفس من حقها، ويقال : «زهد فيه وعنه زهداً أى أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته . . »(٢٢١) فالزهد ليس قتلاً للنفس وإمراضا للجسم حتى يصير كما مهملاً وانما هو عدم التطلع أو النظر إلى ما فى أيدى الناس، وقال ﷺ : «إزهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»(٢٢٢) . ولما أراد قوم مواصلة الصيام نهاهم عن ذلك ، ولم يقبل منهم حرمان أنفسهم .

---

(٢١٨) سورة طه الآية ١٣١ .

(٢١٩) تفسير ابن كثير ج٣ ص١٧٠ .

(٢٢٠) انظر احياء علوم الدين - الغزالى .

(٢٢١) انظر المعجم الوسيط ج١ ص٤٠٣ .

(٢٢٢) رواه ابن ماجه - الزهد - باب الزهد فى الدنيا ج٢ ص١٣٧٣ .

لذلك فإن الإكثار من الطعام إلى حد الشره مرفوض لما يجلبه من الأمراض الجسدية والنفسية والعبادية، كما أن التقليل منه إلى حد الهزال والحرمان الذى يؤدى إلى المرض والعجز عن تلبية مطالب الحياة مرفوض كذلك، أما الحالة المباحة المستحبة حد التوسط والاعتدال على غرار قول الله تعالى ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وخير الأمور الوسط فهناك طرفان كلاهما رذيلة ولكن الوسط بينهما فضيلة، فلدينا افراط وتفريط وكلاهما رذيلة والوسط بينهما فضيلة : فالإفراط فى الطعام أى الإكثار منه والمبالغة فى تناوله إلى درجة التخمة، والتفريط بمعنى التقليل من الطعام المبالغ فيه حتى يصل إلى حد المرض والضعف كلاهما رذيلة تجلب الأمراض إلى الجسم بسبب سوء التغذية، وما بينهما وهو الاعتدال والتوسط فى تناول الطعام وعدم الإسراف فيه، وقيامه من أمام الطعام وهو يشتهيه وعدم ملء المعدة وثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» فهذه فضيلة وهى ما تجب مراعاته عند تناول الطعام عموماً وفى الإفطار من الصوم خصوصاً ويجدر بنا فى هذا المقام أن ننقل قول المقدسى إذ يقول : «ومقام العدل - يعنى الاعتدال - فى الأكل رفع اليدين مع بقاء شئ من الشهوة - أى الرغبة فى الطعام - ونهاية المقام الحسن قوله ﷺ : «ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» فالأكل فى مقام العدل يصحح البدن وينفى المرض، وذلك ألا يتناول الطعام حتى يشتهيه ثم يرفع يده وهو يشتهيه ، والدوام على التقلل من الطعام يضعف القوى، وقد قلل أقوام مطاعمهم حتى قصروا عن الفرائض وظنوا بجهلهم إن ذلك فضيلة وليس كذلك، ومن مدح الجوع فإنما أشار إلى الحالة المتوسطة التى ذكرناها . . وخير الأمور أوساطها فالأولى تناول ما لا يمنع من العبادات ويكون سبباً لبناء القوة فلا يحس المتناول بجوع ولا شبع فحينئذ يصح البدن وتجتمع الهمة ويصفو الفكر ومتى زاد فى الأكل أورثه كثرة النوم، وبلادة الذهن»[٢٢٣] .

---

(٢٢٣) انظر مختصر منهاج القاصدين ص١٤٥ وما بعدها بتصرف .

وبمراعاة هذه التوجيهات الشرعية والتزامها فى الطعام يكون شهر الصوم شهر نشاط وحيوية وحركة، لا شهر نوم فى العمل أو الكسل لأن ذلك كله من الإكثار من طعامى الإفطار والسحور لتعويض وقت الصوم، وتشريع الصوم لتستريح المعدة ويصح الجسم لا ليخمل ويكسل .

* * *

المبحث الثاني
أثر الصوم فى تقويم السلوك وإعلائه

الصوم عبادة تقوم على الترك إلا أن لها آداباً يجب على الصائم مراعاتها والإلتزام بها طلباً للثواب الكامل وحتى لا يضيع أجر الصوم، لقول رسول الله ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»(٢٢٤) وقوله : «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم . . إنى امرؤ صائم» وهذا الاستقامة على أمر الله فى المعاملة، أى تقويم سلوك الصائم .

ماذا نعنى بالجانب السلوكى؟ : هو الجانب العملى من الإنسان، أو هو الجانب النزوعى (الحركى) فى الموقف الشعورى، فالإنسان يدرك ويشعر باللذة أو الألم وهذا الجانب الوجدانى، ثم ينزع قرباً وإقبالاً إلى المرغوبات المستلذات، أو بعداً ونفوراً عن الجانب المؤلم غير المرغوب .

فالموقف هو : إدراك ، وجدان ، نزوع فالجانب النزوعى هو الجانب السلوكى وقيل فى معنى السلوك : هو سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال فلان حسن السلوك، أو سيء السلوك، وفى علم النفس : الإستجابة الكلية التى يبديها كائن حى إزاء أى موقف يواجهه»(٢٢٥) .

واستجابة الكائن الحى (الإنسان) إزاء أى موقف تتحكم فيها الثقافة والعقيدة، والأمور الدينية والأحكام الشرعية المقررة فى نفس الإنسان من الحلال والحرام والخير والشر . . وإذا حدث موقف معين أمام شخصين مختلفين فى الثقافة فإنه يكون لكل منهما حكم يخالف الآخر حسب

(٢٢٤) رواه البخارى عن أبى هريرة - الصوم - باب من لم يدع قول الزور والعمل به فى الصوم ج٣ ص٣٣ .

(٢٢٥) المعجم الوسيط ج٢ ص٤٤٥ .

مارسخ فى نفسه واستقر فى قلبه من عقيدة وثقافة . . وإذا طبقنا هذه القاعدة على الصائم فإنه قد استقر فى قلبه أن أجر الصيام يكمل بالبعد عن المعاصى والسيئات التى تغضب الله عز وجل وتذهب أجر الصوم إذ أنه قد علم أنه : «ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش»(٢٢٦) .

أى أنه محروم الأجر . . ولكن الصائم الحريص على الأجر الكامل والثواب الكبير والفرحة بإتمام العمل الصالح فى الدنيا والآخرة، يجعل مواقفه وسلوكه وتصرفاته العملية موافقة لأمر الله تعالى ونهيه وهذا يتضح جلياً فى توجيه الرسول ﷺ للصائمين وارشادهم ، فصيام الصالحين يعنى الإمساك عن الشهوات ، وكف الأعضاء عن المعاصى وشغلها بطاعة الله .

١ - صون البصر :

وذلك بالأمر بغض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى المذموم والمكروه والحرام، لأن النظرة : «سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يحس حلاوته . . » ولأنها مدخل من مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان ولذلك أمر الله بغض البصر لسد هذا الباب فقال تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم . .﴾(٢٢٧) وقال : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن . .﴾(٢٢٨) وهذا الأمر فى وقت الصوم وغيره ولكنه فى الصوم آكد حتى لا تفسد النظرة الصيام، وعلى ذلك فإن النظر لا يكون إلا إلى الحلال المباح وكف للعين عن التلبس بحرام منهى عنه .

٢ - حفظ السمع :

فقد أمر بكف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه حرام، لأن كل ما يحرم قوله يحرم سماعه، فالأذن وهى عضو السمع لا توظف إلا فى سماع الخير من الدعاء والصلاة والذكر وسائر المباحات من الأقوال، فقد سوى الله بين

(٢٢٦) رواه ابن ماجه - الصيام - باب ما جاء فى الغيبة والرفث للصائم ج١ ص٥٣٩ .
(٢٢٧) سورة النور من الآية ٣٠ .
(٢٢٨) سورة النور من الآية ٣١ .

المستمع إلى الحرام وبين آكل السحت فقال : ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾[٢٢٩] لأن رفض السماع فيه ردع للمتكلم بالحرام، وكف له عن الاستمرار فى قوله الحرام من غيبة أو نميمة أو كذب . . والعكس لو استمعت وأنصت إليه وأشعرته بأهمية ما يقول فيتمادى ويأثم وأنت شريكه فى الإثم لتشجيعك إياه .

٣ - كف الجوارح عن الآثام والمحرمات :

فتكف اليد عن الإيذاء وأخذ الحرام ، لأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وتكف الرجل عن المشى فى طرق الحرام أو السعى إلى الإيذاء وإنما يمشى بها ويسعى فى طرق الخير وتفريج كرب المسلمين، وإلى أماكن العبادة ومجتمعات الخير، وكف البطن وصيانتها عن كل حرام مشبوه فلا يدخليا إلا الطعام الحلال من عمل اليد، وصيانتها من كل رزق حرام بالبعد عن مصادر الحرام والشبهات «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» وهكذا فى سائر الأعضاء يجب أن توجه وتوظف فيما خلقت له من الانتفاع بنعم الله تعالى والرزق الحلال، وطاعة الله تعالى والقيام بالعبادة ، والابتعاد عن كل ما يغضب الله من المعاصى والسيئات وسائر المحرمات .

٤ - صون اللسان :

أى إبعاده عن التلبس بحرام منهى عنه ، وقد قال رسول الله ﷺ : « . . فلا يرفث» والرفث فى اللغة كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة فى الاستمتاع من غير كناية . . »[٢٣٠] وهو السخف وفاحش الكلام كما أنه الكلام الذى تذكر فيه العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، وكل كلام فيه فحش، وهو الكلام شديد القبح، وكذلك كل عمل اشتد قبحه عمل فاحش، فالأقوال والأفعال القبيحة منهى عنها فى كل وقت، وبالأخص وقت الصيام، وكل قول حرام، وكل عمل حرام فاحشة فى الصيام تذهب

(٢٢٩) سورة المائدة من الآية ٤٢ .

(٢٣٠) المعجم الوسيط ج١ ص٣٥٨ .

أجره، ويندرج تحت معنى «الرفث» كل قول حرام كالكذب والغيبة والنميمة لذلك قال رسول الله ﷺ : «خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة»(٢٣١) وعلى ذلك فإنه ينبغى أن يكون مستقيماً على أمر الله لا ينطق إلا بالحلال المباح ولا يتكلم إلا بالطاعات، فيكون نقياً طاهراً من إلقاء الشيطان عليه من العبارات المحرمة، والألفاظ النابية وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم . . ؟!

٥ - المحافظة على وقار الصائم واحترامه :

وهذه صورة عامة لما يجب أن يتحلى به المسلم من الاتزان والوقار وعدم الحماقة والاندفاع ، وعدم القيام بسلوك غير لائق به كمسلم اطمأن قلبه بالإيمان، وتحلى بمكارم الأخلاق ، حرصاً على مرضاة ربه . .

ومن الأمور التى يجب أن يتحلى بها المسلم فى الصيام خصوصاً وسائر حياته عموماً :

أ - عدم الصياح ورفع الصوت : وهذا المعنى الذى فهمناه من توجيه المصطفى ﷺ : «. . ولا يصخب» فالصخب هو ارتفاع الأصوات واختلاطها وفى المعجم : (يقال صخب الجمع صخباً علت فيه الأصوات واختلطت، وصخب فلان أى صاح وأجلب)(٢٣٢) ويذكر النووى : «ولا يسخب» يقال بالسين والصاد وهو الصياح(٢٣٣) والصياح صوت كل شئ إذا اشتد(٢٣٤) والمسلم المتزن الوقور لا يصيح ولا يرفع صوته بلا داع كالأذان أو النداء على شخص بعيد عنه ، أما التهريج والتصايح فذاك دليل على نقصان العقل وقد وصف القرآن جماعة كانوا ينادون الرسول ﷺ من وراء حجراته بعدم العقل ، فقال : ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا

(٢٣١) رواه الأزدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس (العراقى على الأحياء) .
(٢٣٢) المعجم الوسيط ج١ ص٥٠٨ .
(٢٣٣) النووى على مسلم ج٣ ص٢٠٨ .
(٢٣٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص٣٦٨ .

يعقلون﴾[٢٣٥] وما نراه من ارتفاع الأصوات وعلوها فى الأماكن العامة، والمصالح الحكومية والشوارع . . باللعن والتهور بالأقوال بحجة الصيام بعيد كل البعد عن آدابه ويخرج المتلبس بهذا الفعل عن وقاره وهدوئه . . وما كان رسول الله ﷺ سباباً ولا لعاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً، والتأسى به ﷺ واجب على كل مسلم . .

ب- عدم الجهل على من جهل عليك : أى عدم مقابلة ما فعله معك من أفعال الجهال بمثله، وهذا ما فهمناه من قول رسول الله ﷺ فى رواية مسلم : « . . فلا يرفث ولا يجهل» ويعقب النووى بقوله : والجهل قريب من الرفث أى فى المعنى لأن كل مفاهيم السخب من قبيح الأقوال إنما هى من أفعال الجهال» فإن الجهل ليس معناه عدم العلم وانما هو الحماقة والاندفاع، ويؤكد ذلك المعنى اللغوى للجهل : «يقال : جهلت القدر جهلاً، أى اشتد عليانها وهو نقيض (تحلمت) ويقال : جهل فلان على غيره جهلاً وجهالة أى جفا وتسافه»[٢٣٦] .

فالجهل هو التهور والاندفاع والحماقة، وهو عكس الحلم وضبط النفس وكظم الغيظ، واستعمل لفظ الجهل بصوره المختلفة فى القرآن حول معنيين : بمعنى الخلو من المعرفة أى عدم العلم ، وبمعنى الطيش والسفه ويتضح المعنى المراد حسب المقام والسياق الذى ورد فيه اللفظ[٢٣٧] .

وقد أمرنا الله فى كتابه بالإعراض عنهم وعدم مجاراتهم فى سفيه أعمالهم وقبيح أقوالهم، فقال مخاطباً رسوله › : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[٢٣٨] والأمر بالعرف أى المستحسن من الأفعال، واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم، وهذه الآية

(٢٣٥) سورة الحجرات الآية ٤ .

(٢٣٦) المعجم الوسيط ج١ ص١١٣ .

(٢٣٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص١١٤ .

(٢٣٨) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

جامعة لمكارم الأخلاق آمرة الرسول باستجماعها . . »[٢٣٩] وقال فى صفات عباد الرحمن : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[٢٤٠] وشاهدنا من الآية : «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» وسلاماً أى تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم ولا شر أو سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم . . »[٢٤١] فالموقف من الجاهلين تركهم واجتنابهم وعدم مجاراتهم فى جهلهم ومعاملتهم بمعاملتهم فإن جهلوا فلا يجهل عليهم وهذا المعنى هو الذى أكده رسول الله ﷺ : «فلا يجهل» أى لا يفعل أفعال الجهلاء والحمقى .

جـ - دعوة الصائم إلى الحلم وكظم الغيظ : وهذا المعنى المفهوم من توجيه الرسول الكريم صلوات الله وتسليماته عليه : « . . وإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إنى صائم . . إنى صائم»[٢٤٢] فالمعتدى بالشتم أو بالمقاتلة يثير غضب المعتدى عليه فيرد عليه شتمه أو مقاتلته ومضاربته . . لكن الرسول ﷺ يوصى الصائم بأن يملك نفسه ويكظم غيظه ويتحلى بالحلم ولا يرد على هذا المعتدى بمثل اعتدائه حتى لا يضيع أجر الصائم ، وأما قوله : «إنى صائم . . إنى صائم» فقد اختلفوا فى معناه فقيل : يقوله بلسانه جهراً يسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالباً ، وقيل : لا يقوله بلسانه بل يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته ويحرص صومه عن المكدرات ولو جمع بين الأمرين كان حسناً ، واعلم أن نهى الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس خاصاً به ، بل كل أحد مثله فى أصل النهى عن ذلك ولكن الصوم آكد»[٢٤٣] وهذا الضبط للنفس كظم للغيظ وعدم التلبس بالحرام عند

(٢٣٩) انظر تفسير البيضاوى ج١ ص٣٧٢ .

(٢٤٠) الفرقان ٦٣ .

(٢٤١) البيضاوى ج٢ ص١٤٦ .

(٢٤٢) رواه مسلم عن أبى هريرة - الصيام - ما يقوله الصائم إذا دعى إلى طعام ولم يرد الإفطار وما يقوله إذا شوتم أو قوتل ج٣ ص٢٠٥ .

(٢٤٣) النووى على مسلم ج٣ ص٢٠٦ .

تعرضه له، وقد أثنى الله تعالى على الكاظمين غيظهم عندما قال فى بيان صفات المتقين الذين أعدت لهم الجنة : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس..﴾(٢٤٤) وقال : ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾(٢٤٥) ففى الآيتين بيان لموقفين مقدمتهما واحدة هو الاستثارة والاغضاب بالشتم أو المقاتلة، والموقف هو عدم الاستجابة للفعل الأحمق بكظم الغيظ وضبط النفس، ترتب على ذلك سلوك محمودة ونتيجة سارة يرضاها ربنا، فى الأولى : والكاظمين الغيظ ترتب على ذلك العفو عن المسئ «والعافين عن الناس» وفى الثانية : «ادفع بالتى هى أحسن» أى لا تعامل الإساءة بمثلها - وهذا أيضاً كظم للغيظ وضبط للنفس- ترتب عليه : الصداقة والمحبة «فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم» أى صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق(٢٤٦) .

فالسلوك المستحب شرعاً هو عدم رد الإساءة بمثلها والإعراض عن الجاهلين والحمقى وعدم مجاراتهم فى أفعالهم فيترتب على ذلك التقارب والحب كما أشار إلى ذلك القرآن، فدعوة الصائم إلى عدم الجهل على الجاهلين، والإعراض عن المتقاتلين أو المتشاتمين دعوة للتدريب على السلوك السوى والنفس الهادئة التى تمارس الحلم والعفو مع القدرة وتأكيد خلق التسامح والرضا .

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن تقويم الصوم للسلوك على النحو التالى :

١ - حفظ أعضاء الجسم من التلبس بحرام وارتكاب معصية :

فأمر بغض البصر وعدم النظر إلى المحرمات ، وكف الأذن عن سماع الحرام، وكف اللسان عن قول الحرام كالكذب والغيبة والنميمة . . ، كما أمر

(٢٤٤) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .
(٢٤٥) سورة فصلت الآية ٣٤ .
(٢٤٦) انظر البيضاوى ج١ ص١٨٠ ، وج٢ ص٣٥٤ .

بحفظ سائر الجوارح عموماً عن كل حرام منهى عنه فكف اليدين عن الإيذاء وكل حرام، والرجل عن السعى إلى الحرام وعدم المشى فى طرق الإيذاء، والبطن عن أكل الحرام أو ما فيه شبهة حرام .

٢ - حفظ الصائم عموماً عن الحماقات والأفعال غير اللائقة : فأمره بالإتزان فى المواقف وضبط النفس، وغض الصوت وحفظه وعدم التصايح أو السب واللعن، وعدم مجاراة الحمقى والجهال المعتدين بالقول أو الفعل .

٣ - الدعوة إلى توظيف الأعضاء فيما خلقت له : وهذا يعنى أن يحفظ الإنسان أعضاءه وشتى جوارحه عن المحرمات، ويرتقى بها إلى القيام بما خلقت له من الطاعات فاللسان يذكر الله، والمباح من القول، واليد للإعطاء وتقديم المساعدة إلى كل صاحب حاجة، والعين للنظر فى كتاب الله تعالى، والتعامل المباح مع العباد، والتأمل فى خلق الله لزيادة اليقين والاطمئنان بذكر الله، والأذن لسماع الحق والمواعظ والأمر بالاستقامة وسائر الأمور المباحة التى تقوم على أساسها الحياة فى شتى مجالاتها، خاصة إذا علم الإنسان أنه مسئول عن جوارحه وأعضائه كما يسأل عن أعماله وأقواله إذ يقول الله تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾(٢٤٧) .

وفى الآية التالية يقول : ﴿ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾(٢٤٨) فالتباهى بالجسم وقوته، وتوظيف أعضائه فى المعصية كل ذلك يكرهه الله، ويبغض مرتكبه وفاعله، وهذا صوم الصالحين كما ذكر الغزالى، إذ أن فلسفة الصوم تقوم على أن من ترك الحلال طاعة لله، فأولى به أن يترك الحرام، وإلا كان كمن يبنى قصر ويهدم مصراً(٢٤٩) .

(٢٤٧) سورة الإسراء الآية ٣٦ .

(٢٤٨) سورة الإسراء الآيتان ٣٨، ٣٩ .

(٢٤٩) انظر احياء علوم الدين ج٣ ط الشعب ص٤٢٦ .

المبحث الثالث
الآثار النفسية والروحية للصيام

من أهم آثار الصوم على الصائم الآثار النفسية التى تترتب عن هذا التشريع الحكيم من التحكم من شهوات النفس ومجاهدتها مما يحرر الإنسان من شهواته ويجعله يتحكم فيها فيخرج منتصراً على الشيطان مالكاً نفسه متحرراً من هواه ، أقرب نورانية وصفاء وعبودية إلى درجات الملائكة والأبرار ، والمتقين الأخيار .

وفيما يلى بيان لهذه الآثار الكريمة للتشريعات الحكيمة فى نفس الصائم :

أولاً : التربية النفسية للتخلق بمكارم الأخلاق : بتشريع الصيام يتدرب المسلم على أن يكون كريم الخلق سليم النفس قوى الإرادة ، فيتهيأ قلبه لاستقبال هيآت الأخلاق السامية ومعانيها العظيمة عن طريق تنقية القلب من أمراضه وتقوية الروح والنفس للتغلب على سيئ الأخلاق ورفضه رفضاً تاما :

١ - التربية على مجاهدة النفس والمجاهدة مفاعلة من الجهاد فأعداء الإنسان الداخليين : الشيطان ، والنفس ، والهوى فى صراع دائم مع الإنسان فالشيطان عن طريق شهوات النفس يبذل جهده الابليسى لجذبه إلى المعصية عن طريق النساء تارة ، والمال تارة أخرى ، والبطن ثالثة والصائم يجتنب كل هذا ويشعر بألم المجاهدة لكنه بطول الدربة ، يتعود على الانتصار فى هذا الصراع وينسحب الانتصار إلى كل مجالات حياة الإنسان وإذا كان الرسول يقول : «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»(٢٥٠) فإن الصائم يفضل أن يجاهد ويتعب ويكدح ويفعل ما يكرهه من بذل الجهد

---

(٢٥٠) رواه الترمذى عن أنس - كتاب صفة الجنة باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ج٤ ص٦٩٣ .

وتحمل المشقة ليصل إلى الجنة وما فيها من نعيم ولا يستجيب لرغبات نفسه ونزواتها المحببة إلى نفسه السهلة عليه .

فمجاهدة النفس عامل هام فى تربية الإنسان وتحسين سلوكه وعلاقاته ، ويقول الغزالى : إن النفس فى علاجها كالبدن فى علاجه ، فكما أن البدن لا يخلق كاملاً وإنما يكمل بالتربية والتغذية فكذلك النفس تخلق ناقصة تكمل بالتربية والتزكية . . وأيا ما تكون العوامل والمسببات فإن الدوافع الذاتية لدى الإنسان هى المعول عليه فى تكوين مجاهدة النفس ومدها بالمناعة التى تقيها من الوقوع فى الأمراض والهواجس المزعجة والخطرة على الصحة النفسية»[(٢٥١)] .

٢ – تقوية الإرادة : فمن أبرز فوائد الصوم أنه يجعل الصائم ذا إرادة قوية تجعله يستهين بالصعاب ويستصغر المشاق ويصمم على تحقيق هدفه فى الحياة ويستشعر الصائم قوة إرادته عندما يتحكم فى شهواته وأهواء نفسه ، فالصوم جنة أى وقاية من الشهوات ، فهو يتحكم فى شهواته فلا يأكل رغم شعوره بالجوع ولا يمارس الجنس مع شدة توقان نفسه ، ويتحكم فى سلوكه فلا يرفث ولا يصخب ولا يسب ولا يقدم على عمل يغضب الله تعالى . . لأنه وضع نفسه أمام غاية وهدف هو اكمال الصيام كما يرضى الله طلباً لثوابه وطمعاً فى جنته ويستهين فى سبيل ذلك بكل أنواع المشاق التى يتغلب عليها إذ أن فى الصيام تدريباً على السيطرة على الدوافع والانفعالات وتقوية للإرادة فى مغالبة أهواء النفس ونرى أمثلة فى الواقع لقوة الإرادة بالصيام حيث إن الكثير يقلع عن العادات القبيحة والأفعال الذميمة التى تدرب عليها فى صيامه ، فنرى العديد من المدخنين يجعلون شهر رمضان بداية للإقلاع عن التدخين الذى طالما استعبدهم وأنهك قواهم ، ولأنه صار عادة سيئة لهم فهم لا يستطيعون الإقلاع عنه وهم فى الصيام يتركونه عبادة ضمن الإمساك عن المفطرات ، فيخرجون من شهر الصوم وقد استطاعوا بتقوية

(٢٥١) انظر علم النفس – سميح زين ج٥ ص٢١٠ .

الصيام إرادتهم ترك هذه العادة السيئة، فعادت إليهم صحتهم وتغلبوا على شهواتهم بما تعودوا عليه من الإرادة القوية والنفس الهادئة والسلوك السوى، خاصة إذا علمنا أن هؤلاء المدخنين يظنون أن السبب فى التدخين هو الغضب والإنفعال وأنه مهدئ وهذا ظن غير صحيح واعتقاد باطل. . وما سقناه مثال فقط لقوة الإرادة بالصيام يقاس عليه غيره كضبط النفس، وتقويم السلوك. . إلخ لكننا نصل إلى حقيقة هامة وهى ما لتشريع الصيام من تدريب الصائم على أن يكون قوى الإرادة حازم التصرفات فى مواقف الحياة . .

٣ - الشعور بالذل والانكسار : إن الصائم يشعر بالإنكسار فى نفسه والخضوع لربه لتركه طعامه وشرابه كما يشعر بالذل وهو الضعف والهوان لإحساسه بآلام الجوع والعطش امتثالاً لأمر ربه وخالقه فلا يستطيع عصيانه. وهذا الإحساس أعنى إحساس الإنكسار والذل ناشئان من الشعور بالمعاناة والصبر على أداء الصوم كاملاً والفوز بالأجر تاماً، ويجعلان النفس مهيأة لتقبل الأخلاق الكريمة ، لأن الشبع والتمتع بالملذات وإجابة الشهوات تجعل الإنسان فى غفلة من نعم الله فيستخفها ويكفرها ولا يشكرها، بينما يتغير هذا الإحساس بالصيام فعند فقد الطعام والإحساس بالجوع والحرمان من الشهوات يجعل الإنسان يشعر بنعمة الله عليه لأنه حرم منها بسبب الصوم، وبالتالى يمتد هذا الإحساس به إلى أولئك الجياع الذين ليسوا على أمل الجلوس على مائدة عامرة بشتى أنواع الملذات من الطعام والشراب فيؤدى به هذا إلى شكر فضل الله ونعمه وآلائه بمساعدة الآخرين، وبالجوع الشديد يشعر الإنسان بالذل والضعف ، لأن الشعور بالعلو والرفعة والتميز عن سائر الناس، والشعور بالقوة والمنعة، وبطر النعمة وعدم شكرها وكل هذه الأخلاق مبدأ الطغيان والعتو، تزول بالجوع والعطش والتوجه إلى الله بالصوم عبادة له وامتثالاً لأمره، فإحساس القوة والمنعة يزول بالإنكسار، وإحساس العلو والرفعة والتميز يزول بالإحساس بالذل والضعف، وعدم

شكر النعمة للاستخفاف بها يزول كذلك بالإحساس بالجوع وحاجة الجسم إلى الطاقة المحركة .

وإن الإنسان الممتلىء بطنه لا يشعر بالجوع وبالتالى يعتقد أن غير مثله فى شبع دائم كما يشعر بالقوة ، ولكنه إذا فقد الطعام واشتد جوعه يحس بالضعف وانكسار النفس والذل والضعف أمام الله .

يقول الغزالى : (لا تنكسر النفس ولا تذل بشىء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له . . ويشعر بالضعف والذل والخوف إذا لم يجد لقمة يقيم أوده ويسد بها جوعته ويسكت بها صراخ بطنه ، كما يشعر بأكثر من هذا عند فقد شربة ماء يروى بها ظمأه . . وفى هذه الشدة تتجه النفس إلى خالقها وبارئها - وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عز مولاه ولا قهره وإنما سعادته فى أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائماً خائفاً مضطراً إلى مولاه[(٢٥٢)] وعندما عرضت على النبى ﷺ الدنيا وخزائنها ، قال : لا بل أجوع يوماً واشبع يوماً، فإذا جعت صبرت وتضرعت، وإذا شبعت شكرت»[(٢٥٣)] فالصائم خائف، أمن على نفسه فى جانب الله .

ويؤكد قول الغزالى أن التجويع يعتبر وسيلة من وسائل ترويض الحيوانات المفترسة التى ترتبط طاعتها للمدرب بالطعام وسد الجوع وتلبية حاجات البطن، كما أنه -أى التجويع سياسة تتبعها بعض الدول لفرض اتجاهاتها وطاعتها على مواطنيها فمن لم يطع طرد من عمله وقطع سبب رزقه وهو العمل فيضطر مقهوراً إلى اتباع الأوامر المملاة والاتجاهات المفروضة عليه حتى ولو كانت جائزة خوفاً على لقمة العيش، والتزامه شيئاً لا يرغبه قمة الذل والقهر .

---

(٢٥٢) انظر احياء علوم الدين ج٢ .

(٢٥٣) جزء من حديث رواه الترمذى عن أبى أمامة - الزهد - باب ما جاء فى الكفاف والصبر عليه ج٤ ص٥٧٥ حديث ٢٣٤٧ .

ولله المثل الأعلى ، فإن الإنسان عندما يجوع ويطعم يشعر بنعمة الله عليه ، وعند فقد الطعام والشراب يشعر بضعفه وذله وحاجته إلى ربه فإن هذا تكريم له وليس إذلالاً ، لأن الإنسان عندما يدعو ربه ويتضرع إلى خالقه فإن هذا تحقيق للعبودية والتجرد من الغطرسة والتكبر يعتبر تخليصاً للروح وتطهيراً للنفس ، كما أنه فى درجة من الكرامة لأن عبودية الإنسان لربه تزيده شرفاً ورفعة وسمواً لأنه عبد الله رب العالمين .

كما أن الإنسان بهذا التخلص من أمراض النفس مع حسن التوجه إلى الله يكون مهيئاً للتحلى بمكارم الأخلاق وانغراسها فى نفسه لتثمر السلوك السوى الملتزم .

٤ - تحويل النفس من الأمارة إلى اللوامة : وهذا يعنى بتعبير آخر رفع الإنسان من حضيض الحيوانية إلى قمة الإنسانية ، بل ويرتقى إلى درجة الملائكية فالنفس الأمارة : هى التى تركت اعتراض الشهوات وأذعنت وأطاعت لمقتضياتها ودواعى الشيطان ، وقيل : إن المراد بها المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان»[٢٥٤] وتعرف كذلك بأنها هى التى تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلوب إلى الجهة السفلية فهى مأوى الشرور ، ومنبع الأخلاق الذميمة»[٢٥٥] .

والنفس اللوامة : هى التى لم ترض بالمعاصى ولم تسكن تحت الشهوات بل صارت مدافعة للنفس الشهوانية (الإمارة) ومعترضة عليها وهى التى تلوم صاحبها عند تقصيره فى حق مولاه وعبادته .

وقد بينها المفسرون ، فقالوا : هى المتقية وهى نفس المؤمن التى تلوم صاحبها على تقصيره فى الطاعة وتحاسبه على أفعاله وخواطره ، كما قيل : إن المؤمن لا يرى إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتى ما أردت بأكلتى ما أردت بحديث نفسى وإن الفاجر يمضى قدماً قدماً ما يعاتب نفسه ، وقيل : هى

(٢٥٤) احياء علوم الدين ج٣ ص٤ بتصرف شديد .
(٢٥٥) انظر التعريفات للجرجانى ص٣١٢ .

التى تلوم على الخير والشر وتتلوم على ترك الازدياد إن كانت محسنة وعلى التفريط إن كانت سيئة وقال الفراء : ليس من نفس محسنة أو مسيئة ألا وهى تلوم نفسها ، فالمحسن يلوم نفسه إن لو كان ازداد إحساناً ، والمسئ يلوم نفسه إلا يكون قد ارعوى عن إساءته»[٢٥٦] كما عرفت بأنها : هى التى تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة كلما صدرت عنها سيئة ، بحكم جبلتها الظلمانية ، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها»[٢٥٧] فهى دائماً تؤنب صاحبها على ارتكاب المعصية واهمال الطاعة بعد محاسبته على أفعاله ومراجعتها ، ولذا عرفت فى المعجم : «هى التى تلوم صاحبها لوماً شديداً على ارتكاب الشر والتقصير فى عمل الخير وربما تكون الضمير فى الاصطلاح الحديث»[٢٥٨] وقد قيل فى معنى الضمير : إنه استعداد نفسى لإدراك الخبيث والطيب من الأعمال والأقوال والأفكار والتفرقة بينها واستحسان الحسن واستقباح القبيح منها»[٢٥٩] ونلاحظ عند مقارنة تعريفات «النفس اللوامة» بتعريفات «الضمير» إن الضمير هو المفهوم الحديث لمعنى النفس اللوامة ، فالضمير يؤنب والنفس تلوم ، وعرف اللوم بأنه العذل ، والعذل هو العتاب الشديد ، وفى المثل «سبق السيف العذل» يضرب لما قد فات ولا يستدرك» أى فات فيه وقت اللوم والعتاب .

والنفس المطمئنة : هى النفس الراضية التى صارت الطاعات ديدنها والاستقامة سلوكها فتغلبت على الشهوات وسدت جميع مداخل الشيطان إليها إنه نفس العبد المخلص (بفتح اللام) لله ، الذى أخلص وجاهد وتغلب على شهواته وانتصر على الشيطان فخلصه الله وحفظه وأمتعه بإيمانه به ورزقه الإحساس بحلاوة الإيمان ، وقيل فى تعريفها : هى التى سكنت تحت

---

(٢٥٦) انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٢٨ ، وتفسير الكشاف ج٤ ص١٩٠ ، وتفسير القرطبى ج١٠ ص٦٨٨٤ ط الشعب .

(٢٥٧) التعريفات للجرجانى ص٣١٢ .

(٢٥٨) المعجم الوسيط ج١ ص٦٠٤ .

(٢٥٩) المرجع السابق ص٥٤٤ .

الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات(٢٦٠) . وقد قال تعالى : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية﴾(٢٦١) وقيل أيضاً : «هى التى تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة ، وتخلقت بالأخلاق الحميدة»(٢٦٢) أى وصلت إلى درجة من النورانية الملائكية .

كيف يتدرج الصيام بالنفس من الأمارة إلى اللوامة ؟

هذا سؤال يرد بعد أن بينا مفهوم كل نفس وسماتها ، وجوابه واضح جلى ، إذ أن الصائم كان صاحب نفس أمارة سريع الغضب ، منغمس فى شهواته لا يستطيع الخلاص منها لأن الشيطان قد تسلل إلى قلبه من المداخل المفتوحة ، فجعله لا يتصرف إلا تبعاً لشهواته ونزواته كالجنس ، والغضب ، والحقد والكراهية والأثرة والقسوة ، وحب المال . . إلى آخر سلسلة طويلة من المعاصى التى تسخط عليه ربه وخالقه ، وقد ارتاح إلى ذلك دون التفكير فى وخيم العواقب فى الدنيا والآخرة .

فيأتى تشريع الصوم الحكيم بضوابطه وشروطه وآدابه ، فيعلمه التحكم فى شهواته وأهمها البطن ، والجنس فيمنع عبادة له عن الطعام والشراب وجماع زوجته فى نهار رمضان ، وحرصاً منه على تمام الأجر وثبوت الثواب يكون رقيباً على نفسه فلا يرتكب خطأ يغضب الله ، أو يفعل ما يفسد عليه صيامه - ولا يطلع على ذلك إلا الله فيراقب ربه ويحرص على ما يرضيه ، ويؤنب نفسه إذا وقع منه ذلك ويبادر بالتوبة والاستغفار ، فهو يضبط نفسه فلا ينخرط فى عصبية ، ولا يستجيب لإساءة بل يذكر نفسه «إنى صائم . . إنى صائم» وهذا كله حرصاً على إتمام الصوم وعدم نقص أجره . . وبالتزامه هذه الآداب ومراعاتها تصير نفسه لوامة ، تلومه على الخطأ وتؤنبه على التقصير ، لأن الصيام قد أيقظها من سباتها فى المعاصى والرضا بها ،

(٢٦٠) انظر احياء علوم الدين - الغزالى ج٣ ص٤ بتصرف شديد .
(٢٦١) سورة الفجر الآية ٢٨ .
(٢٦٢) انظر التعريفات - الجرجانى ص٣١٢ .

إلى مقاومتها ومدافعة الشهوات والصراع مع تلك الشهوات للتخلص منها ولوم الإنسان على فعلها، فتحولت بالصوم وآدابه من نفس أمارة، إلى نفس لوامة . .

ومن ثمرات جهاد النفس اللوامة ضد النفس الأمارة تتخلص من الشهوات والانهماك فيها ومن الشيطان ودعوته إليها ، لأن الصوم قد سد عليه مداخله التى من أهمها الغضب والشهوات والطمع وحب التزين، والتعصب للمذاهب والأهواء - كما ذكر الغزالى - وقال رسول الله ﷺ : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا عليه مجاريه بالجوع والعطش»(٢٦٣) لأن جميع الشهوات تثور وتتوهج بكثرة الشبع - فيشعر الإنسان بعد انتصاره على الشيطان والنفس والهوى بالهدوء، والسكون إلى الطاعة والتلذذ بها فيتدرج من النفس اللوامة إلى النفس المطمئنة التى اهتدت بالإيمان وشعرت بلذته وحلاوته واطمأنت بذكر الله ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾(٢٦٤) وهذا من أسمى ثمرات الصيام .

٥ - الرقى الروحى : وهذا مما يترتب على الانتصار على الشيطان وسد مداخله والتغلب على وساوسه ، ومقاومة تزيينه المعاصى ودعوته إليها، وقد دعانا ربنا إلى معاداة الشيطان وعدم طاعته وتحذيرنا من غوايته فقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر . .**﴾(٢٦٥) وقال : ﴿**وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾(٢٦٦) فالمسلم عموماً والصائم خصوصاً بعيد عن غواية الشيطان، ولأن المقصود بالصوم التخلق

---

(٦٣) رواه ابن ماجه - الصيام - فى المعتكف الذى يزوره أهله .

(٢٦٤) سورة الرعد الآية ٢٨ .

(٢٦٥) سورة النور من الآية ٢١ .

(٢٦٦) سورة فاطر الآية ٦ .

بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية[٢٦٧] ، والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنهم منزهون عن الشهوات ، والإنسان رتبة فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة»[٢٦٨] فالصائم لا يأكل ولا يشرب ولا يجامع ، والملائكة أجسام نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون فالصائم فى درجة الملائكة بل إنه أفضل من بعضهم لأن الملائكة ليست لديهم شهوات فهم لا يجاهدون النفس ، أما الإنسان فيبذل جهده للتغلب على شهواته ويجاهدها حتى يثبت على الطاعة ، وما يتحقق بجهاد النفس أفضل مما يتحقق بلا جهاد لها ، كما إذا جئت برجلين حبست كلا منهما بحجرة وضعت فى إحداهما شتى ألوان الطعام والشراب ، ولم تضع أى شئ فى الثانية ، ثم أمرت أحد الرجلين الذى يحبس بالحجرة الخالية من أى شئ بألا يأكل شيئاً ويمسك عن الطعام ، ثم أمرت الرجل الثانى المحبوس فى الحجرة المملوءة بالطعام والشراب بأن يمسك عن الطعام والشراب . . ونفذ كلاهما الأمر بالإمساك عن الطعام ، والسؤال هنا : من الذى جاهد نفسه أكثر وأكثر؟ إنه من حبس مع الطعام ، أما المحبوس وحده فى الحجرة الخالية فلم يجاهد لأنه ليس أمامه أية مغريات ، أما الآخر فأمامه المغريات من ألوان الطعام ، والنفس تدفعه والشيطان يدعوه . . وهذا مثل الإنسان والملائكة : الإنسان أمامه سائر المغريات ودوافع الشهوات ووسوسة الشيطان فيقاومها ويجاهد نفسه ليثبت على الطاعة وينال الأجر ، أما الملائكة فيؤدون الطاعات ولا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون طبعاً وفطرة وبلا مقاومة ولا مجاهدة ، وهذا يجعلنا

(٢٦٧) الصمدية : هى التوجه والقصد فالصمد هو المقصود المتوجه إليه فى الحوائج ، وهو الصلب الذى لا خور فيه ، والصمد هو الرفيع فى كل شئ.

(٢٦٨) إحياء علوم الدين ج٢ ص٢٣٦ .

نقول : إن الصوم يرتقى بالصائم روحياً ، ويسمو به نفسياً يصل به إلى درجات الملائكة المقربين .

ثانياً : غرس الأخلاق الكريمة ودعمها : وتعنى بهذا التدريب العملى والنفسى على الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة ، وهذه نتيجة طبيعته للتربية النفسية العامة لتقبل هذه الأخلاق العظيمة والخلال الكريمة والتى تحدثنا عنها فى الفقرة السابقة أولاً ، ولإيضاح ذلك بمثال حسى إذا أردنا فى مجال الرياضة - مثلاً - تدريب لاعب على نوع معين من الألعاب الرياضية يحتاج إلى لياقة جسمية معينة ، فإنه لا يصح التدريب الخاص على لعبة بعينها قبل التدريب العام لإكساب الجسم اللياقة اللازمة للتدريب الخاص كذلك فإن المسلم الذى تعود على المخالفة والمعصية لابد من تعويده على السلوك الإسلامى برده عن المعصية وإبعاده عنها وتنقية روحه ونفسه مما شابها من دنس المعاصى وإعادتها إلى الفطرة وهذا هو التديب العام للياقة النفسية ، ثم يأتى دور الارتقاء النفسى والسمو الروحى كتربية خاصة للنفس على مكارم الأخلاق - وبتشريع الصوم وآدابه تكون التربية على أفضل الأخلاق وأسماها كمرحلة ارتقاء تربوى متخصصة للمسلم تسمو بها نفسه ليرقى إلى درجات الملائكة ، ولتكون نفسه مطمئنة بالإيمان والطاعة ومن أسمى الأخلاق التى تقوى بالصيام ، ويدعمها فى النفس لتبرز فى شتى مواقع الحياة :

١ - مراقبة الله : وقد فسرها رسول الله ﷺ عندما سئل عن الإحسان قائلاً : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أى استحضار المسلم فى قلبه أن الله معه يراه ومطلع عليه ومحاسبه ثم مجازيه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وهو بصومه يتدرب على هذا الخلق الكريم كل يوم بل وكل ساعة إذ أنه ممسك عن الطعام والشراب والجماع يجاهد نفسه ليكمل الصوم ويثبت الأجر ، وكثيراً ما يخلو إلى نفسه مع الطعام الشهى والشراب البارد ولا يراه أحد ومع ذلك لا يفكر فى إلتهام بعض من الطعام أو ارتشاف

قدر من الشراب ثم يمسح فمه ويخرج متظاهراً أمام الناس بالصيام، إنه لم يفعل ذلك، لماذا ؟ لأنه راقب الله وأيقن أنه يراه وأجره من الله وكذا عقابه منه سبحانه فلا يخالف أمره ، لأن العبد وإن كان لا يرى الله فإن الله تعالى يراه . . فلذا حافظ على صومه خوفاً من الله وطمعاً فى ثوابه . . وهذه دعوة وتدريب على مراقبة الله دائماً فى كل مجالات الحياة والعمل فيتقن الإنسان عمله مراقبة لله لا خوفاً من رئيسه، ولا يظلم، ولا يكذب، ولا ينافق خوفاً من الله، كما يتوجه بعمله الصالح إلى الله طلباً لرضاه وثوابه لا إلى الناس ليسمع مدحهم وثناءهم عليه . . فالمراقبة تنسحب على كل الأعمال من عقائد وعبادات ومعاملات فالمؤمن يقدر العذر فى رخص الإفطار، ويبادر إلى القضاء بعد زوال العذر أو الفدية إن لم يستطع القضاء، وإن لم تعصم الصائم تقواه من كلمة سوء ينطق بها أو عمل واجب يعطله أو أمانة يفرط فيها فليس لله حاجة فى أن يمسك هذا المخلوق عن طعامه وشرابه»(٢٦٩) . . فالصائم رقيب على نفسه أمين على دينه فى أخذه بالرخص والشرعية وتقدير حاله وأخذ ما يباح له من الرخص . . يحاسب نفسه دائماً ليردعها عن المعاصى واقتراف السيئات، كما سبق فى بيان النفس اللوامة .

٢ - الأمانة : وهى حفظ ما استرعى عليه الإنسان من ودائع وأموال وعبادات ومنها أمانة الدين والتكاليف الشرعية حيث يجب على المسلم أداؤها كاملة، إذ أنها المقصودة بقول الله تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾(٢٧٠) عند أغلب المفسرين ، ومنها الصيام، فالإنسان يحرص على أدائه كاملاً تاماً دون التلبس بمنهى عنه شرعاً من قول أو فعل أو ظن سئ حرصاً منه على رضا الله والفوز بجنته لقوله : ﴿ . . إلا الصوم فإنه لى وأنا أجــــزى به﴾ كما أنه بعدم استجابته لإلحاح الشهوات أمانة منه فى أداء

---

(٢٦٩) انظر : الشخصية الإسلامية - د/ عائشة عبد الرحمن ص٢٥ .

(٢٧٠) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .

العبادة . . وهذا الخلق الكريم تحتاج إليه المجتمعات بإلحاح حيث إنها إذا انتشرت وسادت شعرت المجتمعات بالأمان والاستقرار وانتعش الاقتصاد بشيوع الثقة فى الآخرين لما اتصفوا به من الأمانة ومنها أداء الشهادة وقول الحق فتلك هى أمانة الكلمة، وأمانة الوظيفة والمنصب أن تؤدى كاملة، وتقوى جذور هذا الخلق بالعبادة وأهمها الصوم .

٣ - الصدق : وهو مطابقة الخبر للواقع ، والمراد فى هذا المقام الصدق مع الله فى أداء العبادة ، وسلامة النية ومطابقتها للفعل، فالصائم ينوى الصوم ثم يلتزمه باجتناب الشهوات ويحرص على هذا فى النهار ولا يفكر فى الإفطار ثم يتظاهر أمام الناس بالصوم ، وهنا يسأل نفسه بفطرته وأمانته سؤالاً: هل التظاهر بالصوم كذب أم صدق ؟ فتجيبه الفطرة: هذا كذب على النفس، وتظاهر كاذب بالعبادة، والصدق مفهومه تطابق المظهر مع المخبر أو الظاهر مع الباطن، وبعبارة أخرى: تطابق النية مع العمل وهذا الخلق الكريم ينبغى الالتزام به فى كل مجالات الحياة، فصدق اللسان فى القول يجب أن يكون مطابقاً للواقع المتحدث عنه، وصدق النية مع العمل بعد عن النفاق والرياء، فإذا حسن العمل فليتوجه إلى الله بهذا العمل الصالح ولا يتوجه إلى الناس لاستطلاق ألسنتهم بالمدح وإلهاجها بالثناء والشكر فيتحول العمل الذى ظاهره الصلاح إلى عمل سئ قام على الرياء وعدم الإخلاص فالصدق يجب أن يسود كل مجالات التعامل سمة مميزة للمسلم الذى يراقب الله تعالى فيؤدى العمل تاماً بأمانة متوجهاً به إلى الله تعالى .

٤ - الصبر : وهو حبس النفس على المكاره ، والصائم يمسك عن شهواته ومحاب نفسه ومشتهياتها ، وقد يجد رغبة إليها إلا أنه يحبس نفسه على الحرمان منها، والبعد عنها امتثالاً لأمره وطلباً لرضاه وثوابه فيجاهد نفسه ورغباته وشهواته ويقاوم غرائزه، ومن أنواع الصبر : الصبر على الطاعات حتى تؤدى، وعن المعاصى حتى تجتنب، وصبر على شدائد الحياة

ومصاعبها، وصبر الصائم : صبر عن الشهوات حتى تجتنب حتى تؤدى الطاعة وهى عبادة الصيام الكامل، وبمثل هذا التدريب الدائم على مدى شهر الصوم تتكون لدى المسلم القوة على تحمل المشاق وشدائد الأمور حتى يأتى الفرج من الله، فلا يكون متذمراً ولا ضجراً ولا متبرماً من حكم قضاه الله، لا ترهبه صعوبات الحياة ولا شدائدها لأنه صار بالصبر قوى الإرادة قادراً على اجتياز الصعوبات، ولأنه آخذ بأسباب اجتيازها والتغلب عليها صابراً قوياً حتى تنفرج الشدة وتمر الصعوبات، والصوم مرتبط بالصبر ارتباطاً وثيقاً، فيقول الغزالى(٢٧١) : «إن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ : «الصوم نصف الصبر» وبمقتضى قوله : «الصبر نصف الإيمان». . وقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بقوله ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ أى يوفى الصائمون لأنهم صابرون على الصوم وعن الشهوات. ولعلم الصائم بمدى أجر الصابرين وبشارتهم فى قوله : ﴿وبشر الصابرين﴾ يصير قوياً على الصبر متحملاً له، طلباً للأجر .

وهذا الخلق له مكانته فى الحياة حيث إنه من أهم وسائل تحقيق الآمال والوصول إلى الأهداف، فالمسلم يأخذ بالأسباب ويلتزمها ثم يصبر على ذلك حتى يحقق الله ما أراد ، فهو يدعو ويصبر على الدعاء حتى يجيبه الله دون استبطاء الإجابة، وهو يعمل ويكدح ويأخذ بالأسباب ويصبرعلى ذلك حتى يرزقه الله رزقاً واسعاً من طريق حلال، كما أنه يأخذ الدواء ويصبر على ذلك حتى يكشف الله عنه الضر والبلاء وهكذا . .

وهذا ما يتدرب عليه الصائم يصبر كل يوم ليكمل أجره، ويصبر طوال الشهر لتتحقق له الفرحة بالأجر والثواب .

٥ - الرحمة : وهى رقة القلب والعطف، فيقال : رحمه أى رق قلبه وعطف عليه فهو راحم ، والرحمة من الله يراد بها الإحسان، كما تطلق الرحمة على ما يكون سبباً فى رحمة الله كالكتاب والرسول . . »(٢٧٢)

(٢٧١) إحياء علوم الدين ج١ ص٢٣١ .

(٢٧٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص٢٤٢ .

ويقال : رق جانبه : أى رحمه»[٢٧٣] والرحمة خلق كريم من أخلاق الإسلام يظهر فى كل التشريعات، وأبرز ذلك فى واقعية الشريعة وملاءمتها للطبيعة الإنسانية، والإنسان الصائم رقيق القلب يتأثر بآلام الآخرين ويحسها ويشاركهم فيها، محاولاً رفع الألم عنهم .

ولما كان الصوم تركاً للطعام والشراب فإن الصائم يشعر بآلام الجوع فيصبر عليها على أمل أن تزول عند آذان المغرب وإباحة الإفطار، ولكنه سرعان ما يتذكر أن هناك من المساكين والفقراء من يجوع لا فى النهار فقط ولكنه قد يصل النهار بالليل لعدم وجود الطعام، ومنهم من يعيش على الكفاف وإن هناك الكثير من أصناف الطعام لا يستطيعون أكلها لعدم القدرة على شرائها ، ويتذكر أيضاً ما عاناه فى النهار فيحس بما يعانيه أولئك من آلام فيرق قلبه لهم ويسرع إلى مساعدتهم وإدخال السرور على نفوسهم لأنه أحس بإحساسهم فشارك وجدانه وجداناتهم فكان فى هذا إثارة لعاطفته واستمالة لقلبه والإسراع للعطف عليهم ورحمتهم لأنه لا يحس بالألم إلا من تألم، ولا بالفقر إلا من كان فقيراً، وتحكى لنا السنة النبوية أن الله غفر لرجل سقى كلباً كاد يموت عطشاً لأنه -أى الرجل- تعرض لمثل ما تعرض له الكلب من مشارفة الهلاك، قال رسول الله ﷺ : «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى فنزل البئر فملأ خفيه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله فغفر له . . »[٢٧٤] فالرجل قد رحم الكلب بأنه أحس بما هو فيه من ألم العطش، وغفر الله له لأنه سقاه فما بالنا إذا كان الإحساس بإنسان يتألم ؟

---

(٢٧٣) المعجم الوسيط ج١ ص٣٦٢.

(٢٧٤) رواه مالك فى الموطأ - كتاب صفة النبى - باب ما جاء فى الطعام والشراب ج٢ ص٩٣٠ عن البخارى ومسلم.

فينبغى على كل مسلم أن يشعر بآلام الآخرين ويحس ما يعانيه إخوانه ولا يعتبر أن كل الناس يعيشون فى رغد العيش وسعة الرزق، بل إن الكثير يعانى ويتألم ولا يشعر بهم أحد لعدم الإحساس بما هم فيه . . فما دامت الأرض تنبت، والحيوانات تلد وتدر اللبن وتوفر اللحم . . وما دام وما دام . . فلا شأن لنا بأحد !

علينا ونحن فى رغد العيش وسعة الرزق أن نتذكر إخواننا الذين يموتون جوعاً بسبب الجفاف فى الماء وضعف موارده ونسأل أنفسنا : هل نحن فى مأمن من أن يحدث لنا ما حدث لهم ؟ ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾[(٢٧٥)] ، والذين يعتدى عليهم فتنتهك أعراضهم وتنهب أراضيهم وتدمر ديارهم، ويشرد من نجا منهم من القتل والإبادة . . وهذا ابتلاء من الله لهم . . ومرة أخرى هل نحن فى مأمن مما هم فيه وما يعانونه؟ والصورة على المستوى المحلى والعالمى متكررة . . وهذا ما ينميه الصوم إذ أنك شاركت الجائعين جوعهم – لكنه عبادة لله منك – فرضه عليك فى شهر رمضان الذى ينقضى وتفطر بعده وتعوض ما فاتك وتعد لنفسك أشهى الموائد كل يوم ، ولكن غيرك يجوع فى رمضان وفى غيره وليس لديه أمل فى أن يستعيض من الجوع إلا بلقيمات قد لا يقمن أوده – فهذه دعوة للتراحم والتعاطف لتكفل الأمة بعضها بعضاً مدعمة بفريضة الصيام الداعية إلى التراحم .

هل هذه كل الأخلاق الكريمة فقط ؟ : إن ما ذكرنا من مكارم الأخلاق التى يغرسها الصوم فى نفس المسلم ، وهى : المراقبة، والأمانة، والصدق، والصبر، وآخرها الرحمة – ليست كل الأخلاق الإسلامية التى جاء الرسول ﷺ لإتمامها وبنائها عندما قال : «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وانما هى أسس عامة تندرج تحتها مفردات لأخلاق كثيرة وعديدة فالمراقبة مثلاً يندرج تحتها الإخلاص، واتقان العمل، واحترام حقوق الآخرين . . إلخ، والأمانة

(٢٧٥) سورة الملك الآية ٣٠.

يندرج تحتها رعاية الأهل، وأداء الشهادة على وجهها الصحيح الذى يرضى الله، وإعادة الحق لأصحابه، وكذا حفظ الأموال والاعتراف بها لأصحابها ويتوج كل هذا بالإقرار لله بحقه فى العبادة والتوحيد ويتضح ذلك أداء العبادات والقيام بالتكاليف الشرعية على الوجه الذى شرعه الله وعلمه لنا رسول الله ﷺ، والصدق له صوره وتطبيقاته فى سائر مجالات الحياة فى الأعمال والأقوال والاعتقادات، كما يترتب على الرحمة العطف والإحسان إلى الفقير، والتكافل الاجتماعى بكل صوره، وصلة الأرحام، وبر الوالدين. . وهكذا، كما يندرج تحت الصبر أغلب الأخلاق الإسلامية، خاصة إذا علمنا أن «الصبر له أنواع : الأول بدنى : كتحمل المشاق بالبدن وكتعاطى الأعمال الشاقة من العبادات . . وفى هذا يدخل الصوم، والثانى : نفسانى عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى وهذا النوع إن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمى عفة، وإن كان فى قتال سمى شجاعة، وإن كان فى كظم غيظ سمى حلماً . . وهو أى الصبر أقسام : صبر على الطاعات حتى تؤدى لأن النفس تنفر من العبودية، وصبر عن المعاصى حتى تجتنب وما أحوج العبد إلى ذلك ، الصبر على شدائد الحياة وأذى الناس وهو من أعلى المراتب»[٢٧٦] وهو بهذا رأس لأغلب الفضائل وأساس للكثير من الأخلاق الكريمة، فالأخلاق منها ما هو كلى يندرج تحته مفردات وصور شتى من الأخلاق الجزئية، ومنها ما هو جزئى يندرج تحت غيره من الكليات ويتفرع عنه ، مثل ما ذكرنا آنفاً، فالصبر خلق كلى عام يتفرع عنه الكثير من الأخلاق، كالحلم كثمرة للصبر على الإساءة، والعفة كثمرة للصبر على الشهوة وهكذا . . فإن ما ذكرنا من أخلاق نماذج لأخلاق كلية تتفرع عنها الأخلاق الكريمة ورأس كل هذا «التقوى» الذى جعلها الله تعالى أساساً وجذراً تتفرع كل الأخلاق عنه وترجع إليه، فإن التقوى تعنى الخوف من الله المؤدى إلى الالتزام بكل أوامره واجتناب نواهيه

(٢٧٦) انظر : مختصر منهاج القاصدين - ابن قدامة المقدسى - ص٢٣٦ .

فى العبادات والمعاملات وشتى ما فى الحياة من مجالات متنوعة، وقد جعل الله التقوى من حكم تشريع الصيام، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾(٢٧٧) أى لتتحقق لكم التقوى.

القرآن مصدر الأخلاق الثابت وانزاله فى رمضان: إن المصدر الأول للأخلاق الإسلامية هو كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، يجلس المسلم إلى كتاب الله يرتل آياته ويتدبرها، ويتعلم ما فيها ويطبقه فى واقع حياته، ومنه يتعلم الأخلاق العظيمة والخلال الكريمة، فقد تربى رسول الله ﷺ من خلال توجيهات الله له فى القرآن كنحو قوله تعالى: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف**﴾(٢٧٨) وقوله: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾(٢٧٩) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.. وبعدها وصف الله رسوله بقوله: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾(٢٨٠) ثم منحه شهادته: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾(٢٨١).

ويقول تعالى عن القرآن: ﴿**ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**﴾(٢٨٢)، فهو شفاء للنفس والروح، والجسم وسلامة القلب، والشفاء هو البراءة من المرض، وشفاه من الغم ونحوه أزاحه عنه والشفاء الدواء، ويطلق مجازاً على ما يبرئ الصدور والنفوس من عللها، والقرآن شفاء بكل هذه المعانى(٢٨٣).

---

(٢٧٧) سورة البقرة الآية ١٨٣.
(٢٧٨) سورة الأعراف من الآية ١٩٩.
(٢٧٩) سورة آل عمران الآية ١٥٩.
(٢٨٠) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.
(٢٨١) سورة القلم الآية ٤.
(٢٨٢) سورة الإسراء الآية ٨٢.
(٢٨٣) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية.

أ - فيه الشفاء من الوساوس والتى يترتب عليها القلق والحيرة التى تصيب الإنسان فى معترك حياته وفى معاملة الآخرين، فالوسوسة داء، والقلق مرض، والحيرة نصب فإذا سلم الإنسان أمره إلى ربه وتوكل عليه بعد أن يعمل بما يرضيه فإن قلبه يطمئن بالإيمان وتهدأ نفسه ويستقيم سلوكه .

ب- وفيه شفاء من الهوى والدنس، والطمع والحسد وسائر نزعات الشيطان فهى آفات تصيب النفس البشرية بالسقم والضعف والتعب وتدفع الإنسان إلى الانهيار ما لم يتمسك بالقرآن .

جـ - وفيه شفاء من الاتجاهات المختلة فى الشعور والتفكير فهو يعصم النفس من الانحراف والعقل من الشطط فلا ينفق الإنسان طاقته الشعورية والفكرية فيما لا يجدى بل يسير على منهج سليم مضبوط يجعل نشاطه منتجاً ومأموناً كما ينفق طاقته الجسدية باعتدال بلا كبت ولا إسراف فيحفظه سليماً معافى .

كما يرسم القرآن الطريقة المثلى فى إشباع الغرائز والسمو بها فينهى عن سئ الأخلاق ومذمومها كالطمع والكبر والكذب . . كما يحض حضاً على التزام مكارم الأخلاق ويدعو إليها ويحث عليها .

وقراءة القرآن عبادة فى رمضان وغير رمضان لذلك دعانا رسول الله ﷺ إلى تلاوته وتدبره والعمل بما فيه وجعل بكل حرف عشر حسنات والنصوص الداعية إلى ذلك عديدة ومتنوعة . . وقد ميز الله به شهر الصيام فقال تعالى محدداً وقت الصوم من العام : ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[٢٨٤] فالقرآن هدى وارشاد لقارئه فهو هدى للناس، كما أنه ﴿هدى للمتقين﴾ فبه تهتدى النفوس ويستقيم السلوك، وتقوى العقيدة، ويشرق القلب بأنواره وهدايته .

ولذا فإن القرآن من ركائز الصفاء الروحى، والسلامة النفسية، والاستقامة السلوكية، جعله الله رحمة للعباد باعتباره موضحاً الطريق إليها .

❊ ❊ ❊

---

(٢٨٤) البقرة من الآية ١٨٥ .


الخاتمة
و
الفهارس

وبعد . . أخى القارئ الكريم ، فهذه هى أهم الآثار العظيمة لعبادة واحدة من العبادات وفريضة من الفرائض تجعل الإنسان محفوظاً معافى بشرع الله تعالى وأداء عبادته التى كلفه بها ، وترفعه إلى أعلى مراتب الرقة الوجدانية والقوة الروحية والنفسية .

١ - ففريضة الصوم تثير فى النفس العطف على المساكين وذوى الحاجات وتكسب القلب رقة والمعاملة رفقاً ، فيتحول الإنسان من حالة السلبية واللامبالاة إلى حالة الإيجابية والاهتمام بأمر المسلمين والإحساس بمشاعرهم ومشاركتهم فى حلها والبذل من أجل ذلك فهى طريقة عملية لتربية الرحمة بالنفس ، ومشكلة العالم اليوم هى عدم الإحساس بمشاعر الآخرين ومشكلاتهم وعدم ترابط الأمة من أجل ذلك .

٢ - كما أن فيها اشعاراً بالمساواة بين الأغنياء والفقراء بالصيام حيث إن الصوم فقر إجبارى يشعر الأغنياء الشباع بما يعانيه الفقراء الجياع ليس فى رمضان فقط وإنما طوال العام ، ولقمة العيش تذل طالبيها وتفتح باباً للاستعباد والقهر . . فيكرن ذلك ادعى إلى بعث الرحمة والتكافل فى المجتمع والاحساس المشترك بين جميع أفراده .

٣ - وهذه الفريضة تحرر الإنسان من سلطان العادة فقد يصير الإنسان عبداً لما تعود عليه من حسن العادات أو قبيحها ، ونرى بعض الأفراد عندما يتأخر عنهم الطعام عن موعده وأصابهم الجوع تسوء أخلاقهم ويتوترون ويثورون على من معهم ، وقد يكون سلطان المكيفات من القهوة والشاى والتدخين أشد من سلطان الطعام نفسه ولذا فإن أداء الصوم فرصة سانحة شرعها الله للاقلاع عن سائر العادات المستهجنة والضارة .

ويمكن أن نلخص جماع ذلك كله فى أن الصوم يحول الإنسان الضعيف عبد العادة والشهوة الذى يهن ويقصر عن أتفه الأشياء إلى إنسان كامل الشخصية قوى الارادة ، وتلك وسيلة ليتحقق سلطان الروح والجسد فيعيش

الانسان مالكاً زمام نفسه لا أسيراً لميوله المادية ، ينقل من التردد والجبن إلى الحزم والقوة، وهذه آلية الحياة سريعة الإيقاع عقل راجح، ارادة قوية، حزم فى اتخاذ القرار .

هذا ما تفعله وتؤثره فريضة الصوم فى شخصية الصائم ويؤديه دورها فى تربيته على أخلاق الإسلام، فيدل هذا على حكمة المشرع الحكيم الذى يفرض على عباده ما يصلح أمرهم ويعلى شأنهم ويبرز شخصياتهم ويحررهم من الماديات واعلاء علاقتهم بها، خاصة وأن العبادة عموماً شرعت لتعويد العبد على مراقبة الله وانعكاس ذلك على سلوكه فإن العقيدة مستقرها القلب، وتقوى بالعمل والعبادة وتضعف بالاهمال والتقصير، وكما شبه الغزالى الأعمال بالنسبة إلى العقيدة بالماء بالنسبة للزرع وكما يموت الزرع بانقطاع الماء عنه ، تموت العقيدة فى القلب وتضعف بانقطاع العمل، فلكل تشريع حكمة تعود بالخير على العباد ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[1] ويقول : ﴿ . . فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[2] فسعادة البشرية أفراداً ومجتمعات لا تتحقق إلا بالتمسك الكامل بما شرع الله، وما دعا إليه من التوحيد والعبادة، وعندئذ تتميز الأمة الإسلامية بأهم ميزاتها وهى الترابط والقوة والتأثير فى غيرها من الأمم بدعوتهم إلى الخير والفلاح بإخلاص التوحيد والارتباط بالعبادات، والانطلاق منها إلى أفضل المعاملات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين .

دكتور/ جلال البشار

قليوب البلد ٨ أكتوبر ٢٠٠٠م

١٠ رجب ١٤٢١هـ

---

(١) سور الملك الآية ١٤ .

(٢) سورة طه الآيتين ١٢٣ - ١٢٤ .

فهـرس المراجـع

أولاً : القرآن الكريم .
ثانياً : المراجع الآتية :

(أ)

١ - إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالى - ط دار إحياء الكتب العربية - بدون .
٢ - أصول الدعوة - د / عبد الكريم زيدان - ط مؤسسة الرسالة عام ١٩٩٠ .
٣ - أصول الفقه - الإمام محمد أبو زهرة - ط دار الفكر العربى بدون .
٤ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوى - ط دار الكتب العلمية .
٥ - الإسلام - سعيد حوى - ط مكتبة وهبة ١٩٧٧ .
٦ - الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع - الخطيب الشربينى - ط عالم الكتب - بيروت لبنان .

(ب)

٧ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ابن رشد القرطبى - ط دار الكتب الحديثة .

(ت)

٨ - تفسير النسفى - عبد الله النسفى - ط دار إحياء الكتب العربية .
٩ - تفسير القرآن الكريم - أبو الفدا اسماعيل بن كثير - ط عيسى الحلبى .
١٠ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس - ط دار الكتب العلمية - بيروت .
١١ - التعريفات - الجرجانى - ط دار الكتاب العربى ١٩٩٢ .

(ج)

١٢ - الجامع لأحكام القرآن الكريم - عبد الله القرطبى - ط دار الريان للتراث .

(ح)

١٣- الحديث النبوى وعلم النفس - د/ محمد عثمان نجاتى - ط دار الشروق - الأولى ١٩٨٩ .

(س)

١٤- سنن ابن ماجه - ط دار الفكر بدون .

١٥- سنن أبى داود - مراجعة محمد محيى الدين عبد الحميد - ط دار الفكر بيروت .

١٦- سنن الترمذى - تحقيق ابراهيم عطوة - ط مصطفى الحلبى - ثانية ١٩٧٥ .

١٧- سنن النسائى - بشرح السيوطى - ط دار الفكر - بيروت .

(ش)

١٨- الشخصية الإسلامية - د/ عائشة عبد الرحمن ط دار العلم للملايين - بيروت .

(ص)

١٩- صحيح مسلم بشرح النووى - ط الشعب بدون .

(ع)

٢٠- علم النفس التربوى - الإبراشى ، حامد عبد القادر - ط الدار القومية للطباعة والنشر .

٢١- علم النفس العام - د/ محمد أبو العلا أحمد - ط مكتبة عين شمس .

٢٢- علم النفس العام - حسن ظاظا ، سماح رافع - ط جامعة عين شمس .

٢٣- علم النفس ومعرفة النفس الانسانية فى الكتاب والسنة - مجمع البيان الحديث - سميح عاطف زين ط دار الكتاب اللبنانى .

(ف)

٢٤- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - ابن حجر العسقلانى - ط مكتبة الكليات الأزهرية .

٢٥- فتح المنعم على صحيح مسلم - د/ موسى لاشين - بدون .

٢٦- الفقه الإسلامى وأدلته د/ وهبة الزحيلى - ط دار الفكر المعاصر .

٢٧- الفقه على المذاهب الأربعة - ط وزارة الأوقاف - المطابع الأميرية .

(م)

٢٨- متن البخارى - ط دار الشعب .

٢٩- مختصر منهاج القاصدين - ابن قدامة المقدسى - ط دار التراث العربى .

٣٠- معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية - ط دار الشروق .

٣١- المغنى - ابن قدامة المقدسى - ط عالم الكتب بيروت .

٣٢- المعجم الوسيط - لجنة من العلماء - بدون بيانات طبع .

٣٣- الموطأ - الإمام مالك - تعليق محمد فؤاد عبد الباقى - ط عيسى الحلبى .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمــة	٥
تمهيــد	١١
الفصل الأول : الصوم فى القرآن والسنة	٢٥
المبحث الأول : فريضة الصوم	٢٧
المبحث الثانى : معنى الصوم	٣٠
المبحث الثالث : مراحل تشريع الصيام	٣٣
المبحث الرابع : فضائل الصوم	٣٧
الفصل الثانى : أحكام الصوم الفقهية	٤٩
المبحث الأول : بم يجب الصوم وحكم اختلاف المطالع	٥١
المبحث الثانى : شروط الصوم	٥٦
المبحث الثالث : وقت الصوم والفجر المعتبر شرعاً	٦١
المبحث الرابع : حكم من طلع عليه الفجر وهو جنب	٦٥
المبحث الخامس : حكم المريض والمسافر ومن فى حكمهما	٦٨
المبحث السادس : مفسدات الصوم	٧٤
الفصل الثالث : آداب الصيام ومستحباته	٨١
المبحث الأول : ما يستحب للصائم	٨٣
المبحث الثانى : صوم النفل	١٠١
الفصل الرابع : آثار الصيام فى كيان المسلم	١١١
المبحث الأول : آثار الصوم فى حفظ الجسد ووقايته	١١٣
المبحث الثانى : أثر الصوم فى تقويم السلوك وإعلائه	١٢١
المبحث الثالث : الآثار النفسية والروحية للصيام	١٢٩
الخاتمة والفهارس	١٤٧

رقم الإيداع
٢٠٠٠ / ١٨٧٠٤

دار المنـــار للطباعــة
ت: ٢٩٦٤٨٤٤